
رسالة
٦٢٣


King Saud University
1957

٨/٢١
ر

الرسالة الملكية في سلوك طريق الخلوتية، لم يعلم المؤلف، كتب في القرن الثاني عشر الهجري تقديرا .

١٠٢ ق　　١٩ س　　١٧٫٥×١٢٫٥ سم　　٦٢٣

نسخة حسنة، بها آثار تلويث، خطها تعليق .

١- الشعائر والتقاليد. والاخلاق الاسلامية

أ- تاريخ النسخ .



عارية عند [illegible]
[illegible] محمد العطار
بالتمام

واد انوه ى

شرح دعاء كفن

ابن عباس رضي الله عنه روايت ايلر ايدر پيغامبر صلى الله عليه وسلم بويوردى كم
اولسه دخى بو دعاى يزسه لر كوكسى اوستنده كفننه بله قويسه لر والله والله
اكركا فرداخى اولورسه اكا عذاب ايتميه لر بو دعا جمله منهات اول مبارك دعا بودر

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انا نسألك
يا عزيز وبعزتك يا قدير وبعظمتك يا عظيم وبرحمتك
يا رحيم يا رحمن وبمنتك يا منان ان تحفظنا
بالايمان قايما ومتينا على كل حال وصلى الله على
سيدنا محمد وآله اجمعين والحمد لله رب العالمين تم

الميل ثلث فرسخ والفرسخ اثنى عشر الف خطوة وستة وثلثون
الف قدم والخطوة ذراع ونصف ذراع بذراع العامة وذلك
اربعة وعشرون اصبعا بعدد حروف لا اله الا الله محمد رسول الله

نقل من بعض المكتوبات

لطرد جن كتونه

بسم الله الرحمن الرحيم ادقايش قاعيش مرقايش

اشتطاف خطوف خطاف شغدايش وفزدايش الله رب العزة

يا طهسلو الشبوج اذفنغ ستنوح ادموصشيشا القديم الازلي الابدي

ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات الاية اشدكم يا معشر الجن

بالله العزيز القهار الواقي الدافع وبالعهد الذي اخذ عليكم

سليمان بن داود عليهما السلام ان لا تقربوا حامل هذا التعويذ

وان تتركوه وتحفظوه في حرز الله وحمايته بحق النبي محمد وآله الطيبين

الطاهرين يا من يلجم المتكبرين بلجام عظمته سلم سلم يا حفيظ

دیشی انسه حرم صاغی دوكلر صاباغيله بشورلد

بانك نيفه يدينه دوره لر شفا بوله باذن الله

دبسنه

مجربدر

كلام حافظ

ذاكروا به فيما بقي من كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة

من الساعات ونسم ونفس من الازل الى الابد ابد الابدين

ودائما الآخرة والكثر من ذلك لا ينقطع اولاه ولا ينفد اخراه

لا اله الا الله العزيز الغفار لا اله الا الله الواحد القهار

لا اله الا الله المهيمن الستار لا اله الا الله الكبير المتعال لا اله الا الله

جل جلاله لا اله الا الله جل ثناؤه لا اله الا الله عز بره لا اله

الا الله عظم شانه لا اله الا الله تعالى كبرياؤه

لا اله الا الله تقدست اسماؤه لا اله الا الله تنزهت صفاته

لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العزيز الحكيم

لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله الغفور الرحيم

لا اله الا الله الشكور الحليم لا اله الا الله الاول القديم

لا اله الا الله الآخر المقيم لا اله الا الله الازلي الابد

لا اله الا الله الواحد احد لا اله الا الله الفرد الصمد

لا اله الا الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدا لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا احد

ذاكروا به فيما بقي من كل سنة من كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة

وشهر وجمعة ويوم وليلة من الساعات ونسم ونفس الابدي

احمد بن قطب الدين

العمري

كتبه لمحمد العالي الحوبوي الخلوتي

الرسالة الملكية في سلوك طريق الخلوتية والملمي
وهو الملمي واحد في الشرط والورد والتلقين والسلو
لان الملمي لما اخذ عن الخلوتي وكشف له انفرد بالملة

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بالخير وهي الرسالة المتروكة

احمد الله على آلائه حمدا كثيرا و نذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا و لا نفورا و نشكره
اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلي على نبيه الذى
بعثه بالحق بشيرا و نذيرا و على اله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة
وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد نجم الدين هاديا وسراجا منيرا اما بعد
فان الله جعل الارض ذلولا للعباد لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا
منها متحرزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها
فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد واخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار
والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه ولياليه امياله وانفاسه
خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه
وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم وخزانة البعد من
الله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من
انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة و
حسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهايل تشمر الموفقون عن ساق الجد
وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظايف
الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار
القرار فصار من مهمات الدين تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات
على مقادير الاوقات ونتضح هذا المهم بذكر بابين الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها
الباب الثاني في كيفية احياء الليل وما يتعلق به فالباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها





وترتيبها واحكامها فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله تعالى اعلم
انه لا نجاة الا في لقاء الله ولا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بالله
وان المحبة والانس لا يحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة لا تحصل
الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وافعاله ولن يتيسر
دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة
وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظايف الاذكار والافكار و
النفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر الا على فن واحد من الاسباب المعينة
على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله
لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن
نوع الى نوع بحسب كل وقت ليغزر بالانتقال لذتها ويعظم بالذلة رغبتها وبدوم
بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تنقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان
يستغرق جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مايلة الى ملاذ الدنيا فان
صرف العبد شطر اوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الاخر
الى العبادات ترجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها الطبع اذ يكون الوقت متساويا
فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور
الدنيا ويصفوا في طلبها القلب واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص
القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق
اوقاته ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في
الطاعة اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير

منقطع والعفو من كرم الله منتظر

بقوله تعالى الشمس والقمر بحسبان ... والله اعلم

منقطع وانظار لما قال الله تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال الله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اي فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله وقد قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل لتعرف مقادير الاوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار

الاخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الاخر ليتدارك في احدهما ما فات في الاخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا غير بيان اعداد الاوراد وترتيبها اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى الغروب ورد والليل ينقسم الى اربعة اوراد وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان من النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به فالورد الاول ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف يدل على شرفه وفضله اقسام الله به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال تعالى قل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل فيه اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وارشاد الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وبقوله تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاعلم انه ينبغي للطالب الصادق ان ينتبه ويستعد لصلوة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر فاذا انتبه ينبغي ان يبتدئ بذكر الله فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى اخر الادعية والايات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر العورة امتثالا لامر الله واستعانة على عبادته من غير قصد رياء ورعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما ذكرنا في موضعه ويتوضأ

مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في كتاب عند الوضوء، فاذا فرغ من الوضوء
صلى ركعتي الصبح في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلعم ويستحب ان يقرأ في الركعة
الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد فاذا سلم يقول ثلث مرات استغفر
الله لذنبي وسبحان الله بحمد ربي ثم يصلي على النبي عم ثم يقرأ الدعاء الذي رواه ابن عباس
ويقول اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى اخر الدعاء ثم يضطجع لحظة على
شقه الايمن مستقبل القبلة فقد وردت السنة بذلك ويقول في الاضطجاع اللهم قني
عذابك يوم تبعث عبادك وكذا ذكره الشيخ المحقق شهاب الدين السهروردي في كتاب
العوارف وقال ولهذا الدعاء اثر كثير وما رايت احدا حافظا عليه الا وعنده خير ظاهر
وبركة وهو من وصية الصديقين بعضهم بعضا والمحافظة عليه منقول عن رسول الله
صلعم انه كان يقرأ بين السنة والفريضة من صلوة الفجر ثم ليخرج من البيت متوجها
الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد ولا يسعى بل يمشي وعليه السكينة به ورد الخبر
ولا يشبك بين اصابعه فيدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء الماثور لدخول
المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم
كما ذكر في فضيلة الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يصلهما في المنزل ويشتغل بالدعاء
المذكور بعده وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعة التحية عند الشافعي ويجلس منتظر
الجماعة والاحب التغليس بالجماعة عند الشافعي وعند ابي حنيفة الاسفار ولا ينبغي ان
يدع الجماعة في الصلوات عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل فقد روى
انس لك عن رسول الله صلعم انه قال في صلوة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد يصلي
فيه الصلوة كان له بكل خطوة حسنة ويمحى عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف
عند

عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى
يركع كتب له بكل حسنة الفي الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة
وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت
المسجد قبل طلوع الفجر فالفيت (وجدت) ابا هريرة قد سبقني قال يا ابن اخي لاي شيء خرجت
من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلوة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا
في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع النبي عم ثم يشتغل بعد ركعتي
الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح الى ان يقام الصلوة فيقول استغفر الله الذي لا اله
الا هو الحي القيوم سبعين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله مائة مرة ثم يصلي الفرض
مراعيا جميع ما ذكرناه في كتاب الصلوة من الاداب الباطنة والظاهرة في الصلوة والقدوة
ثم يقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنذكر ترتيبه فقد قال عم لان اقعد
في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب
وقد روي انه كان عم اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها يصلي
ركعتين اي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى ولا ينبغي الى طلوع الشمس بل ينبغي
ان تكون وظيفته الى طلوع الشمس اربعة انواع ادعية واذكار ويكررها في سبحة وقراءة
قران وتفكر اما الادعية فكما يفرغ من صلوته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار
السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام استغفر الله استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو
الحي القيوم واتوب اليه ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير عشر مرات ويقول في اخر العاشرة واليه المصير سواه ولا اخر

والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير نعم المولى ونعم النصير
ويسبح خمسا وعشرين مرة ويهلل خمسا وعشرين ويكبر خمسا وعشرين وقد وردت السنة بذلك
في رواية الامام احمد في مسنده والنسائي في عمل يوم وليلة ويختمها بسبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم يفتتح الدعاء بما كان
يفتتح به رسول الله صلعم وهو قوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا
شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون ثم يبدأ بالادعية التي ذكرت في الباب الثالث والرابع من كتاب
الادعية فيدعو بجميعها ان قدر عليه ويحفظ من جملتها ما يراه اوفق لحاله وارق
لقلبه واخف على لسانه اما الاذكار المكررة فهي كلمات عشرة ورد في تكرارها فضائل
لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلث او سبع واكثرها مائة او سبعون
واوسطها عشرة فليكرر بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر ولكن الوسط الاقصد
ان يكررها عشر مرات فهو اجدر ان يداوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة
لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع الدوام افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال
القليل الدائم قطرات ماء يتقاطر على الارض على التوالي فتحدث فيها حفرة ولو وقع على الحجر
ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات ولا يتبين
لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية قوله سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الثالثة قوله

سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
وبحمده الخامسة قوله استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسئله التوبة السادسة قوله
اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا اله
الا الله الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو
السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على سيدنا محمد وسلم العاشرة قوله اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذه
اذا كرر كل واحد منها عشر مرات افضل من ان يكرر ذكر واحد مائة مرة لان لكل واحد من
هذه الكلمات فضلا على حيالها وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال
من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال فاما القراءة فيستحب له جمل من الايات ورد
في فضلها احاديث كثيرة وهو ان يقرأ الفاتحة واية الكرسي وخاتمة البقرة وقل اللهم مالك
الملك الايتين وقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخرها وقوله لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق الى اخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الى اخرها وخمس ايات من اول الحديد
وثلثا من اخر سورة الحشر وان قرأ المسبحات العشر التي اهداها الخضر الى ابراهيم التيمي
ووصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية
المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من الشام فاهدى
لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه
الهدية قال اعطانيها ابراهيم التيمي رض قلت افلم تسأل ابراهيم من اعطاه قال بلى فقال كنت
جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني
فلم ار في زماني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا ولا اطيب ريحا منه

فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت لاي شيء جئتني فقال
جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت
ما هي فقال هي ان تقرا قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب سورة
الحمد سبع مرات وقل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق وقل هو الله احد وقل
يا ايها الكافرون واية الكرسي كل واحد سبع مرات وتقول سبع مرات سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتصلي على النبي صلعم سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات
وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في
الدين والدنيا والاخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك
غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع غدوة وعشية
فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلعم فقلت اخبرني
بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلعم فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر
ابرهيم التيمي انه راى ذات يوم في منامه كان الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه
الجنة فراى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما راه في الجنة قال فسالت الملائكة فقلت
لمن هذا كله فقال للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال
فاتاني النبي صم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق
والمغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك
هذا الحديث فقال صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس
الابدال وهو من جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله ولم
ير مثل الذي رايت في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق
انه

انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة وانه ليغفر له جميع الذنوب التي عملها
ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات
الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه
الا من خلقه الله شقيا وكان ابرهيم مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب
بعده من الرؤيا هذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من
القران او اقتصر عليه فحسن فالقران جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان
بتدبر كما ذكر فضله وادابه في كتاب تلاوة القرآن واما الفكر فاعلم اولا انه من افضل
الاعمال ومفتاح الانوار ومبدا الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف
قال سفيان بن عيينة اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس قال قال
الحواريون لعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك قال نعم
من كان نطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن البصري من لم يكن
كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو
وكان لقمان يطول الجلوس وحده وكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس
وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة افهم للفكر و
طول الفكر دليل على طريق الجنة ولقد امر الله به في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى
على المتفكرين فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض الاية ولما نزل قوله ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الاية بكى رسول الله بكاء شديدا كثيرا
فقال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وكل موضع في القران قال فيه فانظروا اولم ينظروا
او لا ينظرون واعتبروا ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لقوم يعقلون لاولي الالباب

لمن كان له قلب وعن ذلك مما لا يحصى حصر وانما غرضنا الكرم اعلم انه قد يجري فيما يتعلق بالدين
وقد يجري فيما يتعلق بالدنيا وانما غرضنا القسم الاول فلنترك الثاني ونعني بالدين المعاملة
التي بين الرب وبين العبد فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق
بالمعبود وصفاته وافعاله وانما غرضنا الاول ههنا فان الثاني يتعلق بعلم المكاشفة فلنتركه
وما يتعلق بالعبد اما ان يكون فكرا فيما هو محبوب او فيما هو مكروه عنده وكل واحد منها ينقسم
الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات والمعاصي
ينقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالزحف عن صف القتال
وعقوق الوالدين والسكنى في مسكن حرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلثة امور
الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يكون بدقيق
النظر والثاني التفكر في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل
هو متصف به في الحال فيتركه او هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى
من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات فاذا جمعت
هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها
او اكثرها وشرح احاد هذه الاقسام يطول ولكن ينحصر هذا القسم في اربعة انواع فلنذكر في كل
نوع مثالا ليقيس عليه المريد سائرها وينفتح باب الفكر ويتسع عليه طريقه النوع الاول المعاصي
ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم في بدنه على الجملة
هل هو ملابس في الحال بمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او
متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض
للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذكر

ذلك من المكاره فيتقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله ثم يتفكر في شواهد القرآن
والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا
يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له الا بالعزلة والانفراد وبان
لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والا فيضع حصاة في فيه
اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له وهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز عن
المعاصي المتعلقة باللسان ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول
الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد وعمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز
عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما يسمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله
فيه بكثرة الاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو
للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين
مطعمه وملبسه ومسكنه وما يكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ثم يتفكر في
وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات
كلها ضائعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله تعالى
لا يقبل صلوة عبد وفي ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر فهكذا يتفكر في اعضائه
ففي هذا القدر غنية عن الاستقصاء فمهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال
اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها ونذكرها ان شاء الله تعالى
واما النوع الثاني وهو الطاعة فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف
يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة
النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الاعمال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى

فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض وغيره وليستعمل
في طاعة الله وتنظر في كتاب الله وسنة رسول الله صلعم وانا قادر على ان اشغل العين
بمطالعة القرآن والسنة فلم لا افعل وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم
فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن
معصيته فلم لا افعل وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف او استماع
حكمة وعلم واستماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله به علي فاودعنيه لاشكره فما
لي اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على
ان اتقرب الى الله بالتعليم وبالوعظ وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسوال
عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة و
كل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال
الفلاني فاني مستغن عنه فمهما احتجت اليه رزقني الله مثله فان كنت محتاجا الان فانا
الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه
وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على
ان يطيع الله بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة ويتفكر فيما يرغبه
في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى
تزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات واما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة
التي محلها القلب فتعرفها من كتب احياء العلوم الدين ومن كتب علماء الاخرة وهي استيلاء
الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور
وغير ذلك فيتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه

امتحانه بالاستشهاد وبالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير عن نفسها وتكذب فاذا ادعت
التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون
يجربون به انفسهم فاذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربه في كظم الغيظ وكذلك
في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولها علامات
مذكورة في كتب احياء علوم الدين وفي جميع الكتب المصنفة في فقه الدين لعلماء الاخرة فاذا
دلت العلامة على وجودها تفكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين
ان منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر
ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو
من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو
الذي حرك اعضائي بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا اقوم لنفسي
بنفسي واذا احس بنفسه الكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك
اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر يموت مقربا
الى الله بنزوعه عن الكفر في بعض عمره وموته على الايمان والعمل الصالح وكم من مسلم يموت
شقيا بتغير حاله في بعض عمره وموته على سوء الاعتقاد وضعف الايمان والاعمال الخبيثة
الموجبة لسوء الخاتمة نعوذ بالله منه فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في
علاج ازالته بتعاطي اعمال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في
ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله
وصفات الملائكة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه
وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج

وكل ذلك مذكور في كتب احياء علوم الدين وفي الكتب القديمة المصنفة في فقه الدين
لعلماء الآخرة فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلابد له من تحصيل ما في تلك الكتب واما
النوع الرابع وهو المنجيات فهي التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء
والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات
ومحبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك
مذكور في الكتب المذكورة هو واسبابه وعلاماته فيتفكر العبد كل يوم في قلبه الا ما يعوزه
من هذه الصفات التي هي مقربة الى الله تع فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها
الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم
فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم ينظر الى الوعيد
والتشديد الذي ورد الشرع فيه وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله حتى ينبعث له حال
الندم فاذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه واياديه عليه
وفي ارسال جميل ستره عليه على ما شرح بعضه في كتاب الشكر كتاب احياء علوم الدين
ذلك واذا اراد احوال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه
وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعته كما رمز الى طريق يسير منه في كتاب التفكر من الكتب
المذكورة فاذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في
الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه
وديدانه ثم هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جميع الخلائق على صعيد
واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته و
حدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الى

الى اليمين فيكون من اصحاب اليمين وينزل دار القرار ثم ليحضر بعد اهوال القيامة في قلبه
صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها
وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا رأوها من مكان بعيد
سمعوا زفيرها وتغيظها وشهيقها الى جميع ما ورد في القرآن شرحها واذا اراد ان يستجلب
حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم و
ملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي يثمر اجتلاب احوال محبوبة والتنزه
عن صفات مذمومة وقد صنف في كل واحد من هذه الاحوال كتب يستعان بها من طلب شيئا
وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج الا يذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القرآن
بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء
والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة
فينبغي ان يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو مائة
مرة وقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة وليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة [illegible] فان
تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر لا يوقف عليها الا بدقيق النظر والفكر عن صفاء القلب
بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار الرسول عم فقد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته
بحر من بحور الحكمة لو تأمله العالم حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاد
الاخبار يطول فانظر الى قوله صلعم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت
فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه كلمة جامعة حكم
الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت

على قلوبهم غلبة تعين لاستغراقهم وحالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية واذا
عرفت مجال الفكر على علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك
ودأبك فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى واحوالك المقربة الى الله تعالى
بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات
المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات
عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة
الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة
الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال
الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق
وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما
كفي من المذمومات واحدة منها فيخط عليها من جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله على كفايته
اياها وتنزيهه قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله وعونه ولو وكله الى نفسه
لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط
على جميعها وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة
والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي ولا سبيل الى محو الرذائل الا بعد محو المعاصي
الظاهرة فينبغي قبل محو الرذائل المبغوضة والاخلاق المذمومة ان يثبت في جريدته
المعاصي الظاهرة كاكل الشبهات واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على
النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من ورع الصالحين لا ينفك عن
الا كبيرهم

عن جملة من المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة
القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم
عليها وتفكرهم فيها لا في معاصي هم بمعزل منها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب
الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ
ومن فعل ذلك فقد تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه
مقبولا لاحسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع
وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن انفة وغيظ وحقد على من يرده اكثر
من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث
انه رد الحق وانكره وان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم آخر فهو مغرور
وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد
والاعتراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب
المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها
لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلوب اعلاء لدين الله تعالى فان كان فرحه بحسن الفاظه
وثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما
يدور حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات
ظهر على ظاهره حتى للموقر له والمعترف له بفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد
استبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي
الامر باهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذتهم
الى غيرهم وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك رشح الصفات المهلكات

المستكنة في سر القلب الذي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك
بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك فمن رأى في نفسه هذه
الصفات وعلم وجودها بالعلامات المذكورة فالواجب عليه الانعزال والعزلة وطلب
الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي جمعا من اصحاب رسول الله
صلعم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يستفتي كان يود ان يكفيه غيره
وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو انفتح لاندرست
العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني فقد كان معمورا قبلي وكذلك
يكون بعدي ولو مت لم ينهدم اركان الاسلام والدين مستغن عني واما انا فلست مستغن عن اصلاح
قلبي واما اداء ذلك الى اندراس العلم فمحال بدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا
في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلو والرياسة
يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم
فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن
عمله الى يوم القيمة بل ينتهض لنشره اقوام لا نصيب لهم في الاخرة كما قال رسول الله صلعم
ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فان الله لا يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب
الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلعم حب المال والجاه ينبت
النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة
غنم باكثر فسادا منهما من حب المال والجاه في دين المرء المسلم ولا ينقلع حب الجاه
من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب عن مخالطتهم وترك كلما يزيد جاهه في قلوبهم
فليكن

فليكن فكر العالم التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط الخلاص منه وهذا وظيفة
العالم المتقي واما اكثر امثال علماء زماننا فينبغي ان يكون تفكرهم فيما يقوي ايمانهم بيوم الحساب
اذ لو رآهم السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمال
من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب
من النار بترك الشهوات والشبهات والحرام وترك المعاصي وهم منهمكون فيها وان طلب الجنة
بتكثير نوافل الطاعات وهم مقصرون في الفرايض منها فلم يحصل من ثمرة العلم الا انه يقتدي
بهم بالحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه
منا فليتهم كانوا كالعوام اذا ماتوا ماتت معهم ذنوبهم فما اعظم الفتنة التي تعرضوا
لها لو تفكروا فنسئل الله ان يصلحنا واياهم ويصلح بنا وبهم ويوفقنا واياهم للتوبة
قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا وبهم المنعم علينا وعليهم فهذه مجاري افكار العلماء و
الصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى
التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع
الصفات المهلكات والاتصاف بجميع الصفات المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا
معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يلبث ولا يدوم ويكون كالعاشق
الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى فينغص عليه لذة المشاهدة
ولا طريق له في اكمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب
وحيات وهي موذيات ومشوشات في القبر بل الم لدغها على لدغ العقارب والحيات بل القدر
كما في التنبيه الى مجاري فكر العبد فيما ينفعه في المكاملة وذلك كله بعد ان يحاسب نفسه فيما
سبق من تقصيره ويرتب وظايف يومه الذي بين يديه على مرفق الحساب الى النفل ...

كثيرا من دقيقة في ارباح الدنيا مع انها محفوفة بالآفة الى نعيم لا آخر له كيف لا تعرف قصيرها
الى التصرم ولا انقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم ولذلك قيل
اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم
الآخر ان لا يغفل عن محاسبة النفس والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها فان كل نفس
من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كثير من الكنوز لا يتناهى نعيمها
ابد الآباد فانقضاؤها ضايعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به
نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة فيقول
للنفس مالي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب
الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله فيه وانسأ في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى
ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا واحسبي انك توفيت ثم رددت فاياك
ثم اياك ان تضيعي اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها قال الله تعالى حكاية عنهم رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا الآية وجد مكتوبا على قبر يا ايها الناس كان لي امل قصر بي عن
بلوغه الاجل فليتق الله ربه رجل امكنه في حياته العمل ما انا وحدي نقلت حيث ترى
كل الى مثله سينتقل واعلم انه لو عرض على الموتى يوم واحد من ايام عمرهم الذي ضيعوها
لكان ذلك احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشف لهم حقايق الامور
فانما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر تقصيره فيتخلص عن العقاب وليستزيد الموفق
به رتبة فيتضاعف به الثواب لانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم في ساعة من
العمر وانت قادر على تلك الساعة وتقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر
على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار ان لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار

فقد قال بعض اولياء الله رأيت اخا لي في الله فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله
رب العالمين قال لان اقدر على ان اقولها احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر كيف كانوا
يدفنوني فان فلانا قام يصلي ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب من الدنيا وما
فيها قف بالقبور وناد في ساحاتها من منكم المغمور في ظلماتها ومن المكرم منكم في قعرها
قد ذاق برد الامن من روعاتها اما السكون لذي العيون فواحد لا يستبين الفضل
في درجاتها لو جاوبوك لاخبروك بالسن تصف الحقائق بعد من حالاتها اما المطيع
فنازل في روضة يفضي الى ما شاء من دوحاتها والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة
يأوي الى حياتها وعقارب تسعى اليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها
واعلم ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل
يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته
التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك
الانوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح
عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويتغشا
ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل
الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه و
هي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله
من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته
وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا يعرض عليه خزاين اوقاته طول عمره فيقول للنفس
اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك

ولا تميلن الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى
عندك حسرتها فهذا وصية النفس ثم يستأنف الوصية في الاعضاء السبعة كما ذكرنا ثم ليستأنف
وصيتها في وظائف الطاعات التي يتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر
على الاكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط
يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه
في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فان اطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة
فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فيه حق
ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قلما يخلو
يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة
فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها شر عاقبة اهمالها ويعظها كما يعظ العبد المتمرد
الآبق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن
الوعظ والتاديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا المذكور وما يجري
مجراه هو اول مقامات المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تكون
تارة بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
وقال رسول الله صلعم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله ومعناه وزن الامور اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها
وقال عمر بن الخطاب رضه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا و
تهيئوا للعرض الاكبر وقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا
وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال الله تعالى ووضع الكتاب فترى

فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا يدعون الويل والثبور ويضجون
من الصغيرة قبل الكبيرة وقال الله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله و
نسوه الآية وقال الله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال الله تعالى يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله
نفسه فان في كلام الله الذي مثل من الآيات فتحقق ان الله لبالمرصاد وان الناس سيناقشون
في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب
خف في القيمة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب
دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته
فلما انكشف لك ذلك وعلمت انه لا ينجي من عذابه وعقابه وسخطه الا طاعة الله وقد
امر الله تعالى بالصبر والمرابطة فقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
فعليك بتحصيل كتابيهما والعمل بمقتضيهما ولقد رمز في هذا الكتاب الى شيء يسير منه وسيجي
ان شاء الله تعالى وقد قال النبي عم لمعاذ بن جبل ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتة
الطين باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه قال الله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الآية فمنع
الوظائف اربع اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي ان تكون وظيفتك بعد صلوة
بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلوة فليس بعد صلوة وظيفة سوى هذه الوظيفة و
يقوى على ذلك بان يأخذ سلاحه ومجنه والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان
المعادي الصادق له عن سبيل الرشاد الورد الثاني ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار
فذلك يمضي بثلث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنى عشر ساعة وهو الربع في هذا

الربع من النهار وظيفتان احديهما صلوة الضحى وقد ذكرنا في كتاب الصلوة ان الاولى ان تصلى
ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قيد نصف رمح ويصلي اربعا او
ستا او ثمانيا اذا ضحيت الاقدام فوقت الركعتين هو الذي اراد الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي
والاشراق وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات ووقت الركعات
الاربع هو الضحى الاعلى الذي اقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلعم
على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلوة الاوابين اذا رمضت
الفصال **الوظيفة الثانية** في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها
العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور
مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى
الوظايف الاربعة التي قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع
بها ان شاء فتصير الصلوة قسما خامسا من جملة وظايف هذا الوقت **الورد الثالث**
من ضحوة النهار الى الزوال والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد امران احدهما
الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق
وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله في جميع اشغاله و
يقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم لوقته فاذا حصلت
كفاية يومه لوقته فليرجع الى بيته وليتزود لاخرته فان الحاجة الى زاد الاخرة
اشد والتمتع به ادوم فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل
لا يوجد المؤمن الا في ثلث مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لابد له منها وقل
من يعرف القدر فيما لابد له منه بل اكثر الناس يقدرون فيما عنه بد انه لابد لهم منه وذلك لان الشيطان
يعد

يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون
خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الامر الثاني
القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعان به على
صيام النهار وان كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة
وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظايف
المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم ياتي على الناس زمان الصمت و
النوم فيه افضل اعمالهم وكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته
ولا يخلص فيه فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا
ان يناموا طلبا للسلامة فاذا نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة ولكن
ينبغي ان ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول
وقت الصلوة فان ذلك من فضايل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلوة
والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله تعالى واشتغالهم بهموم الدنيا
فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه
لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم و
هذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنيي قوله تعالى وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة اي يخلف احدهما الاخر في الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات
في احدهما **الورد الرابع** ما بين الزوال الى الفراغ من صلوة الظهر ورواتبه و
هذا اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما
زالت الشمس وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جوابه اذانه ثم ليقم الى

احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي قال الله تعالى وحين تظهرون وليصل
في هذا الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة وليطولهن من الركعات اذ فيها يفتح
ابواب السماء كما ورد في الاخبار فيه وليقرأ فيها سورة البقرة او سورتين من المئين
او اربعا من المثاني فهي ساعة يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلعم ان يرفع
له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة وليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا اذ جاء ذلك كره ابن مسعود
ان يتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة اية الكرسي واخر
البقرة والايات التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة
والصلوة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت الورد الخامس ما بعد ذلك الى العصر
يستحب فيه ان يكون في المسجد مشغولا بالذكر والصلوة او فنون الخير ويكون في انتظار الصلوة
معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلوة بعد الصلوة وكان ذلك عادة السلف وكان الداخل
يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان
بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه واحياء هذا الورد وهو ايضا وقت
غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل
الزوال اذ يكره نومتان في النهار قال بعض العلماء ثلث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب و
الاكل من غير جوع ونوم النهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع
وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعا فان نام هذا
القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم
ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات فهو الثلث
فقد نقص من عمره عشرون سنة البتة ولكن لما كان النوم غذاء للروح كما ان الطعام غذاء

اي الروح الحيواني

اذ كره

10

غذاء للبدن وكما ان العلم والذكر غذاء للقلب لم يمكن قطعه منه وقدر الاعتدال هذا والنقصان
منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد تمرن نفسه عليه من
غير اضطراب وهذا الورد هو من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الاصال
التي ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من في السموات ومن في الارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والاصال واذا سجد لله الجمادات فكيف ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات
الورد السادس اذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الذي اقسم الله تعالى
به اذ قال والعصر هذا احد معنيي الاية وهو المراد بالاصال في احد التفسيرين وهو العشي
المذكور في قوله تعالى عشيا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة الا اربع
ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة في الورد
الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلوة
تلاوة القران بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم
مقاصد الاقسام الثلثة الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب الى الارض بحيث
يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض وترى صفرة في ضوئها دخل هذا
الورد وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وهو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى
واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار ويستحب في هذا الوقت
التسبيح والاستغفار خاصة وساير ما ذكرناه في الورد الاول من الاذكار العشر لقوله تعالى
واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القران احب
كقوله تعالى واستغفروا الله ان الله كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير
الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرأ قبل غروب الشمس والشمس

اي الثلث

وقت بعد الظهر

جمع اصل وهو وقت من العصر الى غروب الشمس

اي الاذان والاقامة

اي السلف

صباحا

وضحيها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان
قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك اسئلك ان تغفر لي الدعاء كما سبق
ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلوة المغرب وبالغروب قد انتهى اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ
العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه امسه فيكون مغبونا
او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلعم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان راى
نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده
اياه لطريقه وان يكن الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تقصيره فان
ان الحسنات يذهبن السيئات وليشكر لصحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول الليل ليشتغل
بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له اخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها
بعده طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا ايام معدودة
تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء احادها بيان اوراد الليل وهي خمسة الاول اذا غربت
الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين فاخر هذا الورد غيبوبة الشفق اعني الحمرة
التي بغيبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله به وقال فلا اقسم بالشفق والصلوة فيه ناشئة
الليل لانه اول نشو ساعاته وهو اني من الاناء المذكور في قوله ومن اناء الليل فسبح
وهي صلوة الاوابين وهي المراد بقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن و
اسنده ابن ابي الزياد الى رسول الله صلعم انه سئل عن هذه الاية فقال عم الصلوة بين العشائين
ثم قال عليكم بالصلوة بين العشائين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب اخره وسئل
انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تتجافى جنوبهم
وسيأتي فضل احياء ما بين العشائين وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين ويستحب ان
يقرا

ان يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من
غير تخلل كلام وشغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان
المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد
وان عزم في انتظار العتمة فهو افضل فليصليها في المسجد اذا كان امنا من التصنع
والرياء الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشاء الى حد نومة الناس وهو اول استحكام
الظلام وقد اقسم الله به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وترتيب هذا الورد مراعاة
ثلثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربع قبل الفرض احياء لما بين الاذانين
وستة بعد الفرض ركعتان ثم اربع ويستحب ان يقرا فيها من القران الايات المخصوصة كاخر البقرة
واية الكرسي واول الحديد وغيرها الثاني ان يصلي ثلث عشر ركعات اخرهن الوتر فانه اكثر
ما روي ان النبي عم صلى بها من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من
اخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فاخر
الليل افضل ويستحب ان يقرا في هذه الصلوة قدر ثلثمائة اية من السور المخصوصة التي كان
صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة الم تنزيل وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر
والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلث احاديث
ما كان يقرا رسول الله صلعم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني
اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرا المسبحات في كل ليلة ويقول فيها اية افضل من الف اية
وكان العلماء يجعلونها ستة فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى اذ في الخبر انه عم كان يحب سبح
اسم ربك الاعلى وكان يقرا في ثلث ركعات الوتر سورة سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون
والاخلاص الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام وان كان معتادا

لصلوة الليل فالتاخير افضل وقالت رضها اوتر رسول الله عم اول الليل واوسطه واخره وانتهى
وتره الى السحر ويستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس سبوح قدوس رب
الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت
العباد بالموت وروي انه عم ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد
نصف اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نائما الورد الثالث
النوم واذا رعيت آدابه احتسبت عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله
يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله دعا له الملك
واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف من العلماء
وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون في النوم بالاسرار ولذلك قال عم نوم العالم عبادة ونفسه
تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل قال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيئا
واتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي فذكرا ذلك لرسول الله عم
فقال عم معاذ افقه منك وآداب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال عم اذا
نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش وكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة
قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر
والباطن جميعا وطهارة الباطن هو المؤثر في انكشاف حجب الغيب الثاني ان يعد عند راسه
سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما تنبه يستاك كذلك كان يفعل
بعض السلف وروي عن رسول الله صلعم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة و
عند التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة فكانوا يستحبون مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد
فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله وقدرته فذلك
يقوم

يقوم مقام قيام الليل وقال عم من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم ويصلي من الليل فغلبته
عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله الثالث ان لا يبيت من له وصية
الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يامن القبض في النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن
له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيمة يتزاوره الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول
بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاءة وموت
الفجاءة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم الرابع ان ينام تائبا من كل
ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ
الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه وكان اهل الصفة
لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد فكانوا يرون ذلك
ارق لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد السادس
ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في
اخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلوة والذكر وصار لا يدري ما يقول
فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وقيل لرسول الله صلعم
ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل
احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقيل له ان فلانا يصلي ولا ينام
ويصوم ولا يفطر فقال لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عن
سنتي فليس مني السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما
استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى
القبلة

الى استقبال اللحد وهو كمن ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام
على الشق الايمن الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك رب وضعت جنبي وباسمك
ارفعه الى اخر الدعوات المأثورة ويستحب ان يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي واخر البقرة
وغيرها قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى قوله يعقلون يقال ان من
قرأ عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الاعراف هذه الاية ان
ربكم الله الذي خلق السموات والارض الى قوله من المحسنين واخر بني اسرائيل قل ادعوا
الله الاية فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرأ المعوذتين و
ينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده وكذلك كان يفعل رسول الله صلعم
وليقرأ عشرا من اول الكهف وعشرا من آخره وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان
علي رضه يقول ما ارى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرأ الآيتين من اخر سورة
البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع
هذه الكلمات مائة مرة التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ
نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها سماها
توفيا وكما ان المستيقظ ربما كشف له مشاهدات لا يناسب احواله في النوم وكذلك المبعوث
يرى ما لم يخطر قط بباله ولم يشاهده حسه ومثل النوم بين الحيوة والموت كمثل البرزخ بين
الدنيا والاخرة وقال لقمن لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك
تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث
بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك
فانها وفاة وقالت عائشة رضه كان رسول الله صلعم اخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده
على

على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم
ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعاء الى اخره كما ذكر في الدعوات حق على العبد ان يفتش
عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله او حب الدنيا وليتحقق انه
يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب وفي مع ما احب
العاشر الدعاء عند تنبهاته وتقلباته فليقل ما كان يقول رسول الله صلعم لا اله الا
الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فليجتهد ان يكون اخر
ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو علامة
الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فانها
علامة يكشف له عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار ليستجر القلب الى ذكر الله تعالى
فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى اخر ما اوردناه
من الادعية التيقظ الورد الرابع يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من
الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجوع والهجوع
هو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم
الله تعالى والليل اذا سجى اي اذا سكن سكونه [illegible] في هذا الوقت فلا يبقى عين الا
نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اي اذا امتد وطال
وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلعم اي الليل اسمع فقال جوف الليل وسئل رسول الله
اي الصلاة افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي اخر الليل وردت الاخبار
باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى السماء الدنيا
وغير ذلك من الاخبار قال رسول الله صلعم ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء
الدنيا

حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له
وفي رواية يبسط يديه يقول من يقرض غير عدوم ولا ظلوم حتى ينفجر الفجر وقال ان في الليل
ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله إياه وذلك
كل ليلة وقال عم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة
للسيئات ومنهاة عن الاثم وفي رواية ومطردة للداء عن الجسد وقال صلعم اقرب ما يكون
الرب من العبد في جوف الليل الآخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن ثم
الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق سننه وآدابه و
ادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء
والعظمة والجلال والبهاء والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلعم
في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض
ولك الحمد انت زين السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن
عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق ومحمد صلعم
حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي
ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت
نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي
لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت اسئلك مسألة البائس
المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل ولا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما
يا خير المسؤلين واكرم المعطين وقالت عائشة رض كان عم اذا قام من الليل افتتح صلوته

صلوته فقال اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اللهم لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي
من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى
ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوتين عند
تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة رسول الله صلعم
بالليل انه يصلي اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين
قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلث عشر ركعة وسئلت عائشة اكان يجهر رسول الله صلعم
في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما يسر ويقرأ في هذه الركعات من القرآن او
من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم الورد الى ان يبقى من السدس الاخير الورد
الخامس من السدس الاخير من اجزاء الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون
قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل
واقبال ملائكة النهار ويستحب فيه الورد من الصلوة فاذا طلع الفجر انقضى اوراد الليل
ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله سبحانه فسبحه وادبار
النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه
وشهدت به ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله
وديعة واسئله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعلها لي عندك
ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب اوراد
العباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم
وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة

في يوم غزوة وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الاخر كان له اجر الجميع بحسب
نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله عليه السلام
الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس ولقوله عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة
الى سائل عنبة واحدة فنظر بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثيرة وكانوا لا
يستحبون رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلعم ولكن ما سأله احد شيئا
فقال لا قط الا اذا لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن ادم وعلى كل سلامى من جسده
صدقة يعني المفصل وفي الجسد ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن
المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى
صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تاتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك

بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال اعلم ان المريد لحرث الاخرة السالك لطريقها
لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما
موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره الاول العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل
له اصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب ورده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان يختلف
وظائفه بان يستغرق اكثر الاوقات اما في الصلوة او في القراءة او في التسبيحات فقد
كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنى عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا
وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة ركعة والى الف ركعة واقل ما نقل اوراده
من الصلوة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القران وكان يختم الواحد
منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكر
في اية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي

وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القران في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك
فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة فان قلت
ما الاولى فاعلم ان قراءة القران في الصلوة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما يعسر
المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب
وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تاثيرا فيه
فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك كان يرى الاصوب لاكثر
الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها
الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك تختلف
ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها
بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابرهيم بن ادهم عن
بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير
احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا
البحر اسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت ما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما
ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى والتسبيح
قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان الله من يذهب بالليل ويأتي
بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله
المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعا فليلازمه
وان ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه الثاني العالم الذي ينفع الناس
بعلمه في فتوى وتدريس او تصنيف فترتيبه للاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج

الى مطالعة الكتب والى التصنيف والافكار ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق
الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك العقل
والنقل اما النقل فقوله تع شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فانظر كيف
بدأ بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقوله تع
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلماء درجات
فوق المؤمنين بسبعمائة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله تع قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تع انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله تع قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله تع الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك
تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقوله تع وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير لمن امن بين ان عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقوله تع وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون وقوله تع ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في
كشف حكم الله تع وقيل في قوله تع يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني
العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى اي الحياء وقوله تع ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه على علم وقال الله فلنقصن عليهم بعلم وقال تع بل هو آيات بينات
في صدور الذين اوتوا العلم وقال تع خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك في
معرض الامتنان واما الاخبار فقد قال رسول الله صلعم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
ويلهمه رشده وقال ع العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة فلا شرف
فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال ع يستغفر للعالم ما في السموات والارض واي منصب

منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو
مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال ع خصلتان لا يكونان في منافق
حسن سمت وفقه في الدين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه
ما اراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي بيان معنى الفقه وادنى درجات الفقيه ان يعلم
ان الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت برأته عن النفاق والرياء
وقال ع افضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه
وقال ع الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال ع اقرب
الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به
الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال ع لموت قبيلة
ايسر من موت عالم وقال ع يوزن يوم القيمة مداد العلماء ودم الشهداء وقال ع من حفظ
على امتي اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة
وقال ع من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيمة فقيها عالما وقال ع من تفقه
في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال ع اوحى الله تع الى ابرهيم ع يا ابرهيم
اني عليم احب كل عليم وقال ع العالم امين الله في الارض وقال ع صنفان من امتي
اذا صلحوا صلح الناس الامراء والفقهاء وقال ع اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما
يقربني الى الله تع فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال ع فضل العالم على العابد
كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط
رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه
لم تكن عبادة وقال ع فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب

وقال عم يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة هي تلو النبوة
وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وقال عم ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين
الله ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه
وقال فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وقال عم بين العالم والعابد مائة
درجة ما بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة قال علي رض كرم الله وجهه
العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه
والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال ايضا العالم افضل من الصايم القايم
المجاهد في سبيل الله واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا نظما
من ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لاهل العلم اعداء ففز بعلم ولا تبغي له بدلا الناس موتى واهل العلم
احياء قال ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على
الملوك وقال ابن عباس رض خير سليمان بن داود عم بين العلم والمال والملك فاختار العلم
فاعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل من الملوك قال
الزهاد قيل من السفلة قال الذي يأكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية
التي بها يتميز عن ساير البهايم هي العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة
شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه
ولا بأكله فان الحمار اوسع بطنا منه ولا بجماعه فان اخس العصافير اقوى على السفاد
منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي
شيء فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلي رح اليس المريض اذا منع الطعام والشراب

والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه العلم والحكمة ثلثة ايام يموت
ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبه حياته كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد
العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه
كما ان غلبة الخوف قد يبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط
الموت عنه اعباء الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه ذلك وذلك كاحساس المفيق
عن سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر او الخوف فنعوذ بالله من يوم
كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن مداد العلماء
بدم الشهداء وقال ابن مسعود عليكم ... قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فو الذي نفسي
بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم
وان احدهم لم يولد عالما وان العلم بالتعلم وقال ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة
احب الي من احيائها وكذا عن ابي هريرة واحمد بن حنبل وقال الحسن في قوله ربنا
آتنا في الدنيا حسنة هو العلم والعبادة وفي الاخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء
اي الاشياء تقتني قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم
وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس
اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رح من شرف العلم ان كل
من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه حزن قال الاحنف كل عز لم يوكد
بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثماية درهم واعتقني فقلت
باي حرفة احترف فعلمت بالعلم فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة
زائرا فلم آذن له قال ابن الزبير ان ابا بكر كتب الي ابي بالعراق عليكم بالعلم فانكم ان افتقرتم

كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وقال لقمان لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم
بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل مطر السماء وقال الزهري
العلم ذكر ولا يحبه الا الذكور من الرجال فضيلة التعليم الايات قوله تعالى ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقال الله تعالى وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم الكتمان كما قال تعالى في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه
وفسر رسول الله عم فقال ما آتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من
النبيين ان يبينه ولا يكتمه وقال الله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا
وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال ويعلمهم الكتاب والحكمة واما
الاخبار فقال عم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا
وما فيها وقال عم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين نبيا صديقا وقال
عيسى عم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى في ملكوت السموات عظيما وقال عم اذا كان يوم القيامة يقول
الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول
الله تعالى انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا
انما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا اللازم الذي لا يتعدى وقال عم من علم علما فكتمه الجم يوم القيامة بلجام
من النار وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم
تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه ومعلم
ومتعلم وقال ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون
على معلم الناس الخير وقال ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال
كى

كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلعم ذات يوم
فرأى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال عم اما هؤلاء فيسألون الله
ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس
معهم وقال عم اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلث صدقة جارية او ولد صالح يدعو له او علم
ينتفع به من بعده وقال الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو
يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا وقال عم رحمة الله على
خلفائي قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله واما الآثار فقد
قال عمر رض من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وقد روي ان سفيان الثوري قدم عسقلان
فمكث ولا يسئله الناس فقال اكروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك
حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به قال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما
يبكيك فقال ليس احد يسئلني عن شيء وقالوا العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء
به اهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم اي انهم بالتعليم يخرجون من حد البهيمية
الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه
وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد من ابائهم وامهاتهم قيل كيف ذلك قال لان اباءهم و
امهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع
ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت
ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل رضي رفعا تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة
وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلم صدقة وبذله لاهله قربة
وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب

عند الغربا، ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة
في الخير يقتص اثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتهم يمسحهم كل رطب
ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها
لان العلم حيوة القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ
به العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام
به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام هو امام والعمل تابعه
يلهمه السعدا، ويحرمه الاشقيا، وقال عبد الله بن مبارك من بخل بالعلم ابتلى بثلث اما موت
فيذهب علمه واما ينسى واما يلزم السلطان فيذهب علمه وقيل له هل بقي من ينصح قال وهل
بقي من يقبل فالعالم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على ظهر الارض جنس
الانس واشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والعالم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره و
سياقته الى القرب من الله تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة الله ومن وجه خلافة الله وهو اجل
خلافة فان الله قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس
خزائنه ثم هو ماذون في الانفاق على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة
بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله تعالى زلفى وسياقتهم الى جنة الماوى فقد تبين لك ان
العلم افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات وروايتها وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله
وتامل ما قال الله وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الاخرة ورب مسئلة
واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح به عبادة عمره ولو لم يتعلم لكان سعيه ضايعا وانما نعني
بالعلم المتقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الاخرة ويزهدهم في الدنيا والعلم الذي
يعينهم على سلوك طريق الاخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم
الذي

الذي يزيد الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق فان قلت فصل ذلك العلم تفصيلا يشير
الى ترجمة وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم ان علم الاخرة قسمان علم معاملة وعلم
مكاشفة وعلم المعاملة علم ما يتعلق بالايمان وهو ما ذكرنا في قواعد العقايد وعلم الاعمال
وهو ما ذكرنا بعض من احكام الطهارة والصلوة والزكوة والصوم وغيرها وعلم احوال القلب احوال
القلب محمود منها كالصبر والشكر والخوف والرجا والمحبة والرضا، والزهد والتقوى والقناعة
والسخاوة ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن
المعاشرة والصدق والاخلاص معرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب
وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود وما يذم منها كخوف
الفقر وسخط المقدور والحسد والحقد والغش وطلب العلو وحب الثنا، وحب طول البقا،
في الدنيا للتمتع والكبر والريا، والغضب والانفة والعداوة والبغضا، والطمع والبخل و
الرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنيا، والاستهانة بالفقرا، والفخر والخيلا، و
التنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف
والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال
الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف الانتصار
للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال
على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والتسويف والقسوة والغلظة والفرح
بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفا، والطيش والعجلة
وقلة الحيا، وقلة الرحمة فهذه امثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال
المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات والعلم بحدود هذه
علم حرام

الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة
والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك
بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى
صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه زماننا عن معنى من هذه المعاني حتى
عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في
اهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات
من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن
يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيه ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما
هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس
على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم
عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فليت شعري كيف رخص الدين في
الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا انه ليس يتوصل
به الى تولي الاوقات والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم
به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء
السوء فالله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن
ويضحك الشيطان وقد كان الفقهاء في الدين هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعني الذين
كثر اتباعهم وهم ابو حنيفة والشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان الثوري وكان كل واحد
منهم عالما بعلوم الآخرة وعابدا وزاهدا وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا
بفقهه وجه الله تعالى فقد حصل فقهاء الزمان من جملتها على خصلة واحدة وهو

وهو التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة
الواحدة تصلح للدنيا وللآخرة ان اريد بها الآخرة فلصلاحها للدنيا تشمروا لها وادعوا بها
مشابهة اولئك الائمة وهيهات لا تقاس الملائكة بالحدادين وظلموهم بانتحال مذهبهم
وانهم من اشد خصمائهم يوم القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله وانهم ما كانوا متجردين
لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها وقد شوهد من احوالهم ما هو علامات
علماء الآخرة قال ابن المبارك كان ابو حنيفة له مروة وكثرة صلوة قال حماد بن ابي
سليمان انه كان يحيي الليل كله وقال ربيع بن عاصم ارسلني يزيد بن عمرو بن هبيرة
فقدمت بابي حنيفة اليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب
عن الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه
كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب
ظهره فاختار عذابه على عذاب الله وذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا
عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها فقد امر ابو جعفر امير المومنين بعشرة الاف درهم
لابي حنيفة رحمه الله فلما كان في اليوم الذي يتوقع ان يؤتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه
فلم يتكلم فجاء رسوله بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة
اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد
ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى
الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك
فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه وروي انه دعي الى ولاية القضاء فقال
انا لا اصلح له فقيل لم فقال ان كنت صادقا فلا اصلح له وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح

للقضاء فهذا ما يدل على عبادته وزهده واما علمه بامور الآخرة وطرق الدين ومعرفته بالله
فيدل على شدة خوفه من الله وزهده في الدنيا قال ابن جريج كان ابو حنيفة شديد الخوف
من الله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا
من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد
فقد اوتي العلم كله واما الشافعي رحمه الله فكان يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلوة
وقال رحمه الله ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة و
يجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده
في العبادة اذ طرح الشبع لاجله ورأس التعبد تقليل الطعام وقال رحمه الله ما حلفت بالله
صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله عز وجل ودلالة ذلك على علمه بجلال الله
وقال كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى
اهل العلم بنور علمهم وقال احمد بن يحيى خرج الشافعي يوما من سوق القناديل فتبعناه
فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعي الينا وقال نزهوا اسماعكم
عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه
لينظر الى اخبث شيء في وعائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد
رادها كما يشقى بها قائلها وقال الحميدي خرج الشافعي الى اليمن مع بعض الولاة وانصرف
الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه في موضع خارج من مكة فما برح من موضعه ذلك حتى
فرقها كلها وخرج مرة من الحمام فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه من يده فرفعه
اليه انسان فاعطاه جزاء على ذلك خمسين دينارا وسخاوته اشهر من ان يحكى وراس الزهد
السخاء لان من احب شيئا امسكه ولم يفارقه وروى سفيان بن عيينة حديثا في الرقائق فغشي

فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وسمع يوما قارئا
يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فتغير لونه واقشعر جلده فاضطرب
اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين و
اعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت رقبة المشتاقين الهي هب لي
جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك وروي ان عبد القاهر كان رجلا
ورعا وكان يسأل الشافعي عن مسائل في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه فقال للشافعي
ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي التمكين درجة الانبياء ولا يكون التمكين
الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر مكن الا ترى ان الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه و
امتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن ايوب عليه السلام ثم مكن له وامتحن سليمان عليه السلام ثم آتاه ملكا عظيما
والتمكين افضل الدرجات قال الله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض وقال في حق ايوب وآتيناه
اهله ومثلهم معهم فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القرآن واطلاعه على مقامات
السائرين الى الله من الانبياء والاولياء وكل ذلك من علوم الآخرة وهذا وامثاله مما لا يحصى
يدل على عظم رتبته في علوم الآخرة وكذلك ما نقل عن حكاية الثلث الباقية فلا نطول الكتاب
بايرادها واما علم المكاشفة فهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين
من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه
لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان
محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق له وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره
ان لا يرزق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر
في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من

من قبيل اسماءها ويتوهم لها معاني مجملة غير متضحة اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى
وبصفاته الباقيات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه الاخرة على الدنيا والمعرفة
بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان
وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة
القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشياطين
ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا وقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله
والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة
الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى
بعضهم بعضا فيها كما يرى الكوكب الدري في جو السماء ومعرفة ما لابطن السبعة من القران
وكشف الحقيقة عن المسائل المختلفة بين اهل القبلة الى غير ذلك مما يطول تفصيله فنعني
بعلم المكاشفة ان يرتفع الحجاب حتى تتضح لجليته الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى
العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد
تراكم صداه وخبثه بقاذورات الدنيا وانما نعني علم طريق الاخرة العلم بكيفية تصقيل
هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيته
وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب
ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التي تفصيلها
مذكور في موضعها وبالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها
اهل العلم الا مع اهله وهذا العلم الخفي هو المراد بقول النبي صلعم ان من العلم كهيئة المكنون

المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا
عالما آتاه الله علما فان الله لم يحقره اذ آتاه فان قلت قد علمت علم الاخرة فمن علماء الاخرة
وما علامتهم فاعلم انه قد ورد في علماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق
عذابا يوم القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا والاخرة ونعني
بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه
والمنزلة عند اهلها قال النبي عم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه
قال صلعم لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلعم يكون في اخر الزمان عباد
جهال وعلماء فساق وقال عم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء
ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال عم من ازداد علما ولم يزدد
هدى لم يزدد من الله الا بعدا فهذا وغيره يدل على عظم خطر العلم وان العالم اما متعرض
لهلاك الابد او لسعادة الابد بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال
عمر ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما فقال
عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء
ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة رض اريد ان اتعلم واخاف ان
اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة اي الناس اطول
ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم
مفرط وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فان ظن انه قد علم فقد جهل
وقال الفضيل اني لارحم ثلثة عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما يطلب به الدنيا و
انشدوا عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب وقال الحسن

عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة وقال النبي عم ان العالم
يعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به العالم الفاجر وقال اسامة
سمعت رسول الله عم يقول يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور
بها كما يدور الحمار في الرحى فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالمعروف
ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه قال تع في قصة بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي
آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها
ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وكذلك العالم الفاجر
فان بلعم اوتي كتاب الله فاخلد الى الشهوات وقال عيسى عم مثل علماء السوء مثل قناة الحش
ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى ومهما لاح له
تبين ان الفارق بين علماء الاخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل
درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الاخرة و
دوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادان كالضرتين مهما ارضيت
احديهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت احديهما خفت الاخرى وانهما
كالمغرب والمشرق مهما قربت من احدهما بعدت من الاخر وانهما كقدحين احدهما مملوء
فبقدر ما تصب منه في الاخر ينقص من الاخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا
وكدورتها وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة
والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الاخرة
ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن
لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشريعة الانبياء
كلهم

كلهم بل هو كافر بالقران من اوله الى اخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم
يؤثر الاخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته
فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود عم ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا
آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسئلني عن عالم قد اسكرته حب
الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود اذا رأيت لي طالبا
فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا
ولذلك قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة وقال
عمر رضه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب
وقال يحيى بن معاذ الرازي لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية
انشدوا وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب وقيل يا معشر القراء
يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد ولا تظنن ان ترك المال يكفي للحوق بعلماء الاخرة
فان الجاه اضر من المال وروى ابو هريرة انه عم قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب
به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله علماء السوء باكل الدنيا
بالعلم ووصف علماء الاخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
وقال في علماء الاخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين
لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون
في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب
الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء انه عم قال اوحى الله تع الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون
لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش

وقلوبهم كقلوب الذياب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياى يخدعون
وبى يستهزؤن لاتيحن لهم فتنة تذر الحكيم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبى صلعم
قال علماء هذه الامة رجلان فرجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر
به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان البحر ودواب الارض والكرام الكاتبين يقدم
على الله يوم القيمة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل اتاه الله علما فى الدنيا فضن
به عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا ياتى يوم القيمة ملجما بلجام من نار
ينادى مناد على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان اتاه الله العلم فضن به على عباد
الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الخلق واشد من هذا
ما روى ان رجلا كان يخدم موسى عم فجعل يقول حدثنا موسى عم حدثنا موسى نجى الله
حدثنا موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسئل عنه فلا يحس له اثر
حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا
قال نعم هذا هو الخنزير فقال موسى يا رب اسئلك ان ترده الى حاله حتى اسئله فيما اصابه
هذا فاوحى الله اليه لو دعوتنى بالذى دعانى به ادم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك
لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا قد ورد فلا نطول
بايراده فان الله لا يقبل الا ما كان خالصا لله الا لله الدين الخالص وقال صلعم لا تجلسوا
عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى الاخلاص
ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومنها
ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشىء ما لم يكن هو اول عامل به وقال رسول الله صلعم
مررت ليلة اسرى بى باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا

انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال الاوزاعى شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار
فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل بلغنى ان الفسقة
من العلماء يبدا بهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان وقال الشعبى يطلع قوم من اهل الجنة الى
قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم
وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس فى القيمة اشد حسرة
من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك بن
دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا
وانشدوا يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تاتيها وقيل
لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وروى مكحول عن عبد الرحمن
بن غنم انه قال حدثنى عشرة من اصحاب رسول الله صلعم انا نتدارس العلم فى مسجد قباء
اذ خرج رسول الله صلعم علينا فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى
تعملوا وقال عيسى عم مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امراة زنت فى السر فحملت
فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيمة على رؤس الاشهاد
وقال معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الناس عظيم فيتبعونه على زلته وقال
عمر اذا زل العالم زل بزلته العالم من الخلق وقال ثلث بهن يهدم الزمان احدهن
زلة العالم فقال ابن مسعود سياتى زمان على الناس تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ
بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها
قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها
على الاخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفى مصابيح الهدى من

قلوبهم فيخبرك عالمهم حتى يبلغ انه يخشى الله بلسانه والفجور بيّن في عمله فما اخصب
الألسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علّموا
لغير الله والمتعلمون تعلموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا العلم ما لم تعملوا بما
علمتم وقال كعب يكون في اخر الزمان علماء يزهّدون الناس ولا يزهدون ويخوّفون
ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتون ويؤثرون الدنيا على الاخرة يأكلون
بألسنتهم يتقربون للاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما يتغاير النساء على الرجال
يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون (المتكبرون) اعداء الرحمن وقال رسول الله ﷺ
ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا
تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوّفا حتى يموت وما عمل وقال السري السقطي
اعتزل للتعبد رجل كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت في النوم قائلا يقول
لي كم تضيّع العلم ضيّعك فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب
واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال ﷺ مما
اخاف على امتي عالم وجدال المنافق في القرآن ومنها ان يكون عنايته بتحصيل العلم
النافع في الاخرة المرغب في الطاعة متجنبا عن العلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال
والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل
كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية
العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمته الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه
بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق
منذ كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة فقال فما تعلمت مني في هذه المدة فقال
ثمان

زلة صح

ثمان مسائل فقال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل
قال يا استاذ لم اتعلم غيرها فلا احب ان اكذب فقال هات هذه الثمان مسائل حتى اسمعها
قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا هو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى
القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبا فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم
فما الثانية قال نظرت في قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي
المأوى فعلمت ان قوله هو الحق فاجتهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله الثالثة
اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في
قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكل شيء وقع معي شيء له مقدار وقيمة وجهته اليه ليبقى
لي عنده الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف
والنسب فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في التقوى
حتى اكون عند الله كريما الخامسة اني نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض و
يلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسمة من عند الله وتركت عداوة
الخلق عني السادسة اني نظرت الى هذا الخلق يبغي (يظلم) بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا
فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في اخذ
حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدوي فتركت عداوة الخلق السابعة نظرت الى
هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم
نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فعلمت
اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي عنده

الثامنة اني نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا
على صنعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل
على الله فهو حسبه فتوكلت عليه فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم
التورية والانجيل والزبور والفرقان العظيم وهو يدور على هذه الثمان المسائل فمن استعملها
فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له الا علماء الاخرة فاما علماء
الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التي بها بعث
الانبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلم بعضهم عن بعض الا الورع وهم
اليوم يتعلمون الكلام ومنها ان يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل
في الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء
بالاقل في جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الاخرة حزبه
ويشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله الخواص قال دخلت مع حاتم الرازي ومعنا ثلثمائة وعشرون
رجلا نريد الحج وعليهم الزرنبانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار
متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فاني
اريد ان اعود فقيها لنا وهو عليل فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة
فانا ايضا اجي معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا
مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول يا رب عالم على هذه الحالة ثم اذن لهم في الدخول فدخلوا
فاذا دار قوراء واذا بزة وسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الواسع
الذي هو فيه واذا بفرش وطية وهو راقد عليها وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازي
وسال وحاتم قايم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة فقال

نعم فقال فما هي قال مسئلة اسالك عنها فقال سلني قال قم فاستو حتى اسالك فاستوى
فقال حاتم علمك هذا من اين اخذته فقال الثقات حدثوني به قال عمن قال عن
اصحاب رسول الله قال واصحاب رسول الله عمن قال عن رسول الله قال ورسول الله
عمن قال عن جبريل قال وعمن جبريل قال عن الله قال حاتم ففيما اداه جبريل عن الله
الى رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك
هل سمعت في ذلك العلم من كان في داره اميرا وكانت سعته اكثر كان له عند الله المنزلة
قال حاتم فانت بمن اقتديت ابالنبي واصحابه والصالحين ام بفرعون ونمرود اول من
بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها
فيقول العالم على هذه الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا
وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين اكثر شيئا
منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني مبتدا
ديني ومفتاح صلوتي كيف اتوضا للصلوة فقال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء
فاتي به فقعد الطنافسي وتوضا ثلثا ثلثا ثم قال هكذا فتوضا فقال حاتم مكانك
حتى اتوضا بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضا ثم غسل
الذراعين اربعا فقال الطنافسي يا هذا اسرفت فقال له حاتم فيماذا فقال غسلت ذراعيك
اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف
فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم فدخل الى البيت فلم يخرج الى الناس اربعين
يوما فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا له يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن
اعجمي وليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا

اصاب خصمه واحزن اذا اخطاء واحفظ نفسك ان لا تجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل
فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن
ما السلامة في الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال
تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت
هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه قالوا
مدينة رسول الله قال فاين قصر رسول الله حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان
له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور اصحابه قالوا ما كان لهم قصور انما كانت لهم بيوت
لاطئة بالارض فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان
وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون فقال له الوالي ولم ذلك قال لا تعجل علي
فانا رجل غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذا فقالوا مدينة رسول الله فقلت اين
قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم
بمن تاسيتم برسول الله ام بفرعون اول من بنى بالجص والآجر فخلوا سبيله وتركوه
هذه حكاية حاتم وكذلك سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل والتحقيق فيه ان التزين
بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة
لا يمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة
الخلق ومراياتهم وامور اخر هي محظورة وحرام محض والحزم في الاجتناب عن ذلك
لان من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان
صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا فالتعريج على التنعم في المباح خطر عظيم وهو بعيد
من الخوف والخشية وخاصية علماء الله وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر

مظان الخطر

ومنها

ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم
سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها
بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم
ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم
فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم
فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع
في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وفي الجملة مخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء
الآخرة طريقهم الاحتياط والتحقيق في هذا يقتضي تفصيلا فاعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة
ثلثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك
والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهي الدخول
عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار
والآثار فننقلها ليعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه
الفتوى في ظاهر العلم قال رسول الله من نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم
ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم وقال عم سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون فمن
صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض وقد قال عم من
بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وقال عم سيكون عليكم امراء
تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله
قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى ولا تركنوا الى
الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون النهي متناول للانحطاط

اي لا ينكر الا بقلوبهم

في هواهم ولا انقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا
باعمالهم والتشبه بهم والتزي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم
وتامل قوله تعالى ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله تعالى الى الذين ظلموا اي الى
الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه
الاية فغشي عليه فلما افاق فقيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم ولما خالط
الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت
بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك فقد اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله
بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة رسوله وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله
لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة
الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لا يودي حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك
قطبا يدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى
ضلالهم يدخلون الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في
جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يومنك ان تكون
ممن قال الله فيهم فخلف من خلفهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ
زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام
وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء
ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن
من قارئ على باب هولاء وقال رسول الله صلعم من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله

الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال
لا فقيل يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء معناه وما لكم من دون الله من انصار
يقدرون على منعكم من عذابه ثم لا ينصركم هو الى هنا كلام صاحب الكشاف وقال عم العلماء امناء
الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان واذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم
واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث
يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا
قليل وقال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحذروا منه فانه لص وقال عم شرار العلماء
الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء وقال مكحول الدمشقي من تعلم القران
وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه
وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يوتى الى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال انه عند الامير وكنت
اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على
السلاطين الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك فانتم ترون ما القاه به من الغلظة
والفظاظة وكثرة المخالفة لهواهم ولوددت ان انجو من الدخول كفافا مع اني لا اخذ منهم شيئا
ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص
وما يوافق هواهم ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلوهم وكرهوا دخولهم وكان
ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم
الا اصابوا من دينك افضل وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما
من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم
ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل

لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين و
كان يقال العلما اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا
طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله اما بعد فاشر
علي بقوم استعين بهم على امر الله فكتب اليه اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا
فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن
عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه وقال عبادة بن الصامت حب القارى العابد للامراء
نفاق وحبه للاغنياء رياء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد
الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له
قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج
فعزله فقال الرجل انما عملت له على شي يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض
يوم شوما وشرا فهذه الاخبار (من النبي) والآثار (من الصحابة والصلحاء) تدل على ما في مخالطة السلطان من الفتن وانواع
الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول
الداخل على السلطان متعرض لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما
باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور اما الفعل فالدخول اليهم في غالب الاحوال يكون
الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن المالك حرام ولا يغرنك قول القائل
ان ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة او فتات خبز فان ذلك في غير المغصوب اما المغصوب فلا
وان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله
فهو حرام والدخول اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا
فلا يعصي بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قائما
في سلامه

في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع
لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضي التواضع ذهب ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم
فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية الا عند خوف القتل او
الضرب الشديد او السجن او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبل ابو عبيدة بن
الجراح يد عمر رض لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد
جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب ففيه
نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام
فلا يخلو من الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم وبساطهم
هذا من حيث الفعل فاما السكوت فهو انه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس
عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك فيها بل يسمع من كلامهم
ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين للثياب الحرام وآكلين
للطعام الحرام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق
ولكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد
لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا اقول من علم فسادا في موضع وعلم
انه لا يقدر على ازالته (اي بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر) فلا يجوز له ان يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان
يحترز عن مشاهدته واما القول فهو ان يدعو للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل
بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقائه
والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه من هذه الاقسام

اي لا يتجاوز

اما دعاؤه فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته
وما يجري هذا المجرى فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة والخطاب بالمولى وما في
معناه غير جائز قال النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز
الدعاء الى الثناء فيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلاث معاص
وقال صلعم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم
الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق فيما يقول والتزكية على ما يفعل كان عاصيا بالتصديق
وبالاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما ان التكذيب والمذمة
والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة
ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال دعه
حتى يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان يثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان
جاوز الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب
والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم وحقه ان يبغضه لله ويمقته فالبغض في
الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص
بمحبته وان احبه لسبب آخر فهو عاص من حيث انه لا يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه
وان اجتمع في شخص خير وشر وجب ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر ومن
اراد ان يعلم ثواب الحب لله والبغض لله ووجه الجمع بينهما في شخص واحد ومراتب من يحب
لله ويبغض في الله فعليه بكتاب الاخوة فان من طلب شيئا وجد وجد وان سلم من ذلك كله
وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه
ويكون مقتحما نهي رسول الله صلعم حيث قال يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها

اصحابه

ذلك

فانها مسخطة للرزق هذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله
اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات واما محظورات دعي سعيد بن المسيب
الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل و
النهار فان النبي صلعم نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال لا
والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح فلا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين
احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم
طواعية الرعية امر السياسة فيجب عليه الاجابة مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب الولاية
الثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم
فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول
الحالة الثانية ان يدخل عليه السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام
فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما انه بالظلم مستحق
للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة
ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه عمن اعرض عن الله
فاعرض الله عنه وان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما
بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية
ولا يناله اذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه
فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه فذلك واجب
واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فائدة فيه بل يجب عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من
المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طريق المصلحة ان كان يعرف

طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل فيه غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى
غرضه بالظلم فاذا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى
ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلاثة امور يلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا
لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او غير عذر روي عن محمد بن صالح قال كنت
عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه
علمه ومطهرة يتوضأ فيها فبينا انا عنده اذ دق داق الباب واذا هو محمد بن سليمان فاذن
له فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رأيتك امتلأت منك رعبا فقال حماد لانه عم قال
ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل شيء
ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال ارددها على من ظلمته بها
قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتأخذها فتقسمها قال لعلي
ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني
الحالة الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه
ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب
الى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان غفل
عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك
يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى
ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء اذ قال اهل الاموال يأكلون ونأكل ويشربون
ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم وعليهم حسابها ونحن
منها براء وكل من احاط علمه بظلم ظالم او معصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه

قلبه فهذا فرض لانه من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي
ان تكره فانها اما ان يغفل عنها او يرضى بها او تكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد
من الكراهة فليكن جناية كل احد على حق الله كجنايته على حقك فان قلت الكراهة لا تدخل تحت
الاختيار فكيف يجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له
فان من لا يكره معصية الله من لا يحب الله وانما لا يحب الله من لا يعرف الله والمعرفة واجبة والمحبة
لله واجبة فاذا احبه كره ما كرهه واحب ما احبه وقد ذكر تحقيقه في كتاب المحبة والرضا فان قلت
فقد كان بعض السلف يدخلون عليهم فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل دخل سفيان
الثوري على ابي جعفر بمنى فقال ارفع الينا حاجتك فقال له اتق الله فقد ملأت الارض ظلما
وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفعه قال ارفع الينا حاجتك قال انما انزلت هذه المنزلة
بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم
قال فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك قال حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال للخازن
كم انفقت قال بضعة عشر درهما فارى ههنا امورا لا تطيقها الجبال فهكذا كانوا يدخلون
على السلاطين اذا اكرهوا ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرأت
في بعض الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي
ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها
عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة اتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة
الطمع فينا وترك الامساك لما في ايدينا وهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين واما الان [illegible]
ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون بدقائق الحيل طرق السعة فيما
يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب

الجاه والقبول عندهم وهذا غرور ان يغتر بها الحمقى احدهما ان يظهر ان قصده في الدخول
عليهم اصلاحهم بالوعظ او ربما يلبسون على انفسهم ذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة
وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره
ممن هو من اقرانه ووقع موقع القبول وظهر به اثر الصلاح فينبغي ان يفرح به ويشكر الله
على كفايته هذا المهم فان كان يصادف ترجيحا لكلامه في قلبه فهو مغرور الا ان يزعم انه قصد
الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعيار ما تقدم ذكره مسئلة اذا
بعث السلطان الى عالم مالا حلالا لا يجوز اخذه ان امن من غائلة تلبيس الاولى ان يتغذى به ويستدل
به على جواز اخذه مطلقا فالمقتدي والمتشبه به ينبغي ان يحترز من هذا غاية الاحتراز فانه يكون
فعله سبب ضلال خلق كثير والثانية ان يتحرك قلبه الى حبه فان ذلك هو السم القاتل قال عم
اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بتيء ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك فانه اذا احبه
احب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك احب لاسباب
الظلم قال سلمان وابن مسعود من رضي بامر وان غاب عنه كان كمن شهده وقال الله تعالى
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الاية وبهذا يتبين ان اخذ المال الآتي منهم وان كان ذلك
المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوائل مسئلة المعاملة
معهم حرام لان اكثر مالهم حرام فما يوخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من الحلال فينبغي النظر
في المعوض فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك
حرام وان امكن ان يلبس نساوهم فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من الاموال و
معناه بيع الفرس منهم لا سيما وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او جباية اموالهم وكذلك
القوس والنشاب والسرج وما يعنى بها واما لا يعصى بعينه كالنقود فهو مكروه لما فيه من اعانتهم
على

[margin:] جمع اموال المسلمين

على الظلم لانهم يستعينون على الظلم بالاموال والدواب وساير الاسباب ومن الكراهية
جارية في الاملاء لهم وفي العمل لهم من غير اجرة حتى تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة
والترسل والحساب واما تعليم القران فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا
من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم يشتري لهم في السوق من غير جعل واجرة فهو مكروه
من حيث الاعانة وان اشترى ما يعلم انهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للتبرج
والفرس للركوب الى الظلم فذلك حرام فمهما قصد المعصية بالمبتاع حصل التحريم ومهما لم
يظهر واحتمل حصلت الكراهية مسئلة الاسواق التي بنوها بالمال الحرام يحرم التجارة فيها
ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناها
ولم يحرم الكسب للناس ان اشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا اخرى فالاولى الشراء منها
فان ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكراء حوانيتهم مسئلة معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم
اشد من معاملتهم اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم
ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زي العلماء ويختلطون بهم ويقتدى فيهم بسبب انقياد الخلق
اليهم واما خدمهم فظاهر قال طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم
على من شهدت عليه وما لجملة انما فسدت الرعية بفساد الملوك وفسد الملوك بفساد العلماء
فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم قال صلعم
لا تزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم يمال قراؤها امراءها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم
العلماء وانما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم محدثة
بعدهم وقد قال سفيان لا تخالط السلطان ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب
الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان النبي عم لعن

في الخبر عشرة وقال ابن مسعود آكل الربوا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان
محمد وامتنع سفيان من مناولة الخليفة دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب به فكل من
حواليهم من خدمه ظلمة يجب بغضهم في الله جميعا وكانوا يتشاءمون اذا سألوا عن الطريق
خوفا ان يكون متوجهين الى الظلم فيكونون مواربشأن معينا فهذا حكمهم وحكم كل من تزيى بزيهم
اذ لا يتشبه بالفساق الا فاسق وليس للصالح ان يتشبه باهل الفساد ولان ذلك يكثر سوادهم
مسائل المواضع التي بناها الظلمة ينبغي ان يحتاط فيها وينظر كالقناطير والمساجد والسقاية
اما القنطرة اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل من موضع معين فلا يحل العبور واما المسجد
فان بني في ارض مغصوبة او خشب مغصوب من موضع او مالك معين فلا يجوز دخوله
اصلا ولا للجمعة وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد
فان لم يجد فلا يترك الجمعة والجماعة به لانه محتمل وكذلك حكم السقاية والبوارى (حصير) في مسجد
لا ينبغيه ان كانت من جهة السلاطين فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف الاموال الضائعة
الى المصالح ولان الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك
للسلاطين وارباب الامر مسئلة الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا علم [illegible] ان يتخطى
البتة وان لم يكن له مالك معين جاز والورع العدول ان امكن وان الشارع مباحا
وفوقه ساباط جاز العبور والجلوس تحته على وجه لا ينتفع به فان انتفع به في دفع حر الشمس
او اذى المطر او غيره فهو حرام لانه انتفاع بالحرام والانتفاع بالحرام حرام ومنها ان لا يكون متبادرا على
الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص
كتاب الله او نص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل
عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا
هو

هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري
وقال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان
الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كان عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سئل
عن الفتوى قال اذهب الى الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن حصين
ان احدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر لجمع لها اهل بدر وقال بعضهم انما العالم الذي
اذا سئل عن المسئلة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر رض يقول تريدون ان تجعلونا جسرا
تعبرون علينا في جهنم وكان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري
حتى احتجتم الي ولما سئل رسول الله عم عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل
جبرئيل عم فسأله فقال لا ادري حتى اعلمه الله ان المساجد خير البقاع وشرها الاسواق
وكان في الفقهاء من لا يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري
ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وعن عبد الرحمن
بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله عم ما منهم من احد يسئل
عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ اخر كانت المسئلة تعرض على احدهم
فيردها الى الاخر ويردها الى الاخر حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى
الى واحد منهم رأس مشوي وهم في غاية الضر فاهداه الى الاخر واهداه الاخر الى الاخر و
هكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب
منه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة اشياء قراءة
القرآن وعمارة المساجد وذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمع
من قوله صلعم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وقال
الله

تعالى للاخرة كثير من نجو بهم لانه ومنها ان تكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب
ومعرفة طريق الاخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان
المجاهدة يفضي الى المشاهدة في دقايق علوم القلب وينفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما
الكتب والتعليم فلا يفي بذلك بل العلوم خارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة
ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر
والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف وكم من متعلم طالت تعلمه ولم
يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر في العمل ومراقبة القلب
فتح الله له من لطايف الحكم ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلعم من عمل بما
علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل
به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به العلم مجعول في قلوبكم
تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين أظهر العلم من قلوبكم
حتى يغطيكم ويغمركم ولولا ان ادراك قلب من له قلب بنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال
استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه لا يزال عبدي
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه واذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده الذي يبطش بها الحديث وكم من معان دقيقة من اسرار القرآن يخطر على قلب المتجرد
للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين فاذا انكشف ذلك للمراقب
وعرض على المفسرين استحسنوه وادخلوه في تفاسيرهم وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية و
الطاف الله بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقايق
خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق له من حسن

٣٥

حسن العمل وفي وصف سوء العلماء قال علي رضه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها
اوعاها والناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون
مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه النفقة محبة العلم دين يدان به يكسبه
الطاعة في حيوته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال يزول
بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء فقال
هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل اجد طالبا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا
ويستطيل بنعم الله على اوليائه ويستظهر بحججه على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في
قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب
الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقاد الهواه اقرب شبها بهم الانعام السايمة اللهم
هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا يخلو الارض من قايم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف
مقهور لئلا يبطل حجج الله وبيناته وكم واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة
وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم
هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا
بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها متعلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله تع
من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكي وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذكر
ذكر آخر اسمه وصف علماء الاخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة
فان قلت فما مراقبة القلب والمجاهدة قلت المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة ويثمر
تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته
اليه

وملاحظته اياه وانصرافه اليه واما المعرفة التي يثمر هذه الحالة فهي العلم بان الله تعالى مطلع على
الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه
مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني
انها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب
وصرفت همته اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب
اليمين اما الصديقون فمراقبتهم مراقبة التعظيم والاجلال وهي ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة
الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا ومن نال هذه الدرجة
فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم
به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني
وهذا امر الذي صار همه هما واحدا وكفاه الله سائر الهموم ولا يستبعد هذا فانك تجد نظيره في القلوب
المعظمة للملوك الا ترى بل قد يستغرق بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي
فربما يتخطى الموضع الذي قصده وينسى وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زماننا هذا رجلا
قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل
عتبة الغلام فقال عبد الواحد من اين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق
فقال من لقيت في الطريق فقال ما رايت احدا ومر يحيى بن زكريا بامراة فدفعها على وجهها فقيل
له لم فعلت فقال ما ظننتها الا جدارا وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد
جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى فقلت انت وحدك فقال
معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار
نحو السماء فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك شاغل عنك هذا كلام مستهتر بالله تعالى

لا يتكلم

لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه وقال ابن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي
علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا
قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت على صور وانا
جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فاذا شخصان قاعدين
مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت
بالله الا رددتما علي السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته ونظر الي وقال يا ابن خفيف
الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل
شغلك حتى تفرغ الى لقائنا فاخذ بالحيني فنظر الي وطاطا راسه في المكان فبقيت عندهما
حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني
فرفع راسه وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما
ثلثة ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث
قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بوعظهما فرفع الشاب راسه وقال يا ابن
خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته ويقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله
ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجات المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال
والتعظيم فلم يبق لهم متسع لغير ذلك ومن مراقبة لا يطول النظر في تفصيل اعمالهم فانها
معصومة على القلب واما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن
المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبيت
على حفظها على سنن السداد فان القلب اذا صار مستوفا بالمعبود صارت الجوارح
مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف اما اصحاب اليمين وهم قوم غلب

يعني اطلاع الله تعالى على ظواهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال
بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة
الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد
التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فانهم يرون ان الله تعالى في الدنيا مطلع
عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة وتعرف هذا الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك
قد تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امراة فتعلم انه يطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك
وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كان لا يدهشك ولا
يستغرقك فانه يهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر
فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراقبة العباد
في مراقبة الله ومن كان في هذه الدرجة يحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته
ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل اما قبل العمل
فلينظر الى ما ظهر له وتحرك بفعله اهو لله تعالى خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان
خاطره
فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله امضاه وان كان لغير
الله استحيا من الله تعالى وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبتها فيه وهمتها به وميلها اليه وعرفها
سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا
التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر ينشر
للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والديوان
الكيف والديوان الثالث لمن ومعنى لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعل لمولاك
او ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم عنه سئل عن الديوان الكيفية كيف فعلت فان

فان لله في كل عمل شرطا وحكما ولا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف
فعلت أبعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة
بالاخلاص فيقال لمن عملت الوجه الله تعالى خالصا فوفاء بقولك لا اله الا الله فيكون
اجرك على الله او لمراءاة خلق مثلك فخذ اجرك منه ام عملته لتنال عاجل دنياك فقد
وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملته سهوا وغفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب
سعيك وان عملته لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تأكل رزقي و
تترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا الاية ويحك اما سمعتني اقول الا لله
الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المضايقات والمطالبات والتوبيخات
طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدئ ولا يعيد الا بعد
التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التأمل فقد قال النبي صلعم لمعاذ ان الرجل ليسأل
عن كحل عينيه وعن فتة الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وقال الحسن رحم الله
عبدا وقف عند همه فان كان لله امضى وان كان لغيره تأخر وكان حدث سعد حين
اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المؤمن وقاف متأن
يقف ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين و
المعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان ومن لم يعرف نفسه وربه و
عدوه الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمته
وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم من هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه
الله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا تظنن ان الجاهل ربما يعذر على التعلم يعذر

هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف
ركعة من غير عالم لانه يعلم افات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه فالجاهل
لا يعرفه فكيف يحترز عنه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله
من الجهل والغفلة فانه راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب
نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عند الهم والسعي حتى ينكشف له بنور
العلم انه لله فيمضيه او هو هوى النفس فيتقيه وينزجر القلب عن الفكر فيه وعن
الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة يورث
الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت
فينبغي ان يحسم مادة القصد للشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه
ومهما اشكل على العبد الاول واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ
بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور
علماء الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد من ذلك فقد
اوحى الله الى داود لا تسأل عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك
قطاع طريقي على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة
عن نور الله فان مستضيء انوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها
واقبل على عدوها وعشق ضدها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد حيث لا عذر له اولا
في احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم
الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلعم ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات
والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين امرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل

عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال رسول الله صلعم من
قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي يسعد الادمي
به حتى تعدد الى الحق ويحقه بمفارقة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال فقد اندرست منذ
الاعصار فان التابعين كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في
الخصومات المثارة من اتباع الشهوات وقالوا ان هذا هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي
هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا الفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل
عن القلوب ليتفرغ على لفقه الدين وكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه فان قلت
فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج ادم من
التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام و
منها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدأهم وهذا غايتهم
وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل
انقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات
فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو
العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات وكان الفقيه
معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في
الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة
الاخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس
وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان و
طريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم

فقه الدنيا

الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك الفقه فان قلت هذا
ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم لك
في العبادات من الصلوة والصيام ولا في المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم ان ما يتكلم
الفقيه فيه من اعمال الاخرة الاسلام ولم يلتفت فيه الا الى اللسان والصورة فيفتي بالصحة
اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلوته من اولها الى آخرها
مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير ومثل الصلوة لا ينفع في الاخرة
كثير نفع كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة اي انقطع عنه القتل
والتعزير واما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الاخرة وبه ينفع العمل الظاهر
ولا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا عن فنه واما الزكوة فينظر فيها الى ما يقطع
عنه مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع فاخذ السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته فلا
يذكر شروط القران من قوله يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي
ينفق ماله رئاء الناس وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما
اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا
فيه وشروط الحديث من طيب النفس وابتغاء مرضات الله وغير ذلك واما الحلال والحرام
فالورع منه من الدين بل هو اساس العبادات كلها ولكن للورع من الحرام الذي يخرج
بتناوله الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام
الظاهر والفقيه لا يبحث الا فيه اي فيما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الاثم
في الاخرة قال رسول الله صلعم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك فاذا
جميع نظر الفقيه يرتبط بالدنيا الدنيا التي بها صلاح طريق الاخرة وقد كان سفيان
الثوري

الثوري وهو امام في علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الاخرة كيف وقد اتفقوا
على ان الشرف في العلم للعمل به فكيف يظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة
والصرف والديات والقسامة والشجاج والسبق والرمي ومن تعلم هذه الامور ليتقرب
بالعمل بها الى الله تعالى فهو مجنون ولقد كان الفقه اسما في العصر الاول مطلقا على علم طريق الاخرة
ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة
التطلع على نعيم الاخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وما يحصل به الانذار والتحذير هو هذا
العلم وهذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به
انذار وتخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين
له وقول النبي صلعم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وقول ابي حنيفة الفقه معرفة النفس
ما لها وما عليها وسأل فرقد السبخي الحسن عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك
فقال الحسن ثكلتك امك وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف
عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك بفروع الفتاوى ولست اقول لم يكن
متناولا للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم وكان اطلاقهم له على علم الاخرة
اكثر فخصصوا معرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها والاستكثار
الكلام وحفظ المقالات المتعلقة بها وتعلقوا بالاغراض الفاسدة لا معان غير ما اراد
السلف الصالح والقرن الاول كما بدلوا لفظ العلم والتوحيد والتذكير والحكمة فتارة من
هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة ووجدوا على ذلك [illegible]

فقه دنيا
علما دنيا

من الطبع فان علم الآخرة غامض عسر والتوصل الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال
متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم
محمود في الشرع وكذلك الحكمة فان الله تعالى اثنى عليها قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وقال النبي عم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة
عنه والى ماذا نقل واحترز عن الاغترار بتلبيسات العلماء فان شرهم اعظم على الدين من
شر الشيطان اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما
سئل رسول الله صلعم عن شر الخلق ابى فقال اللهم غفرا حتى كرر عليه فقال هم العلماء
السوء وكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث
وقد صح قول رسول الله بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقيل
ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوا من سنتي
وفي خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون
بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها
ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه
بل السبب في اقبال الخلق على هذه العلوم ان الخلافة بعد رسول الله صلعم والخلفاء الراشدين
افضت الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى
الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد
بقي من العلماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب
على سمت علماء السلف وكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا واضطر الخلفاء الى الالحاح
في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فراى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة و

والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرابوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك
الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا
اليهم وطلبوا الولايات والصلات فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخلو
عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد
ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا الاقلون من علماء
الدين وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة
اليه في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات
الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة و
المجادلة في الكلام فانكب الناس على علم الكلام وسموه علم التوحيد واصول الدين
واكثروا فيها التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في
المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة
كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاستقلال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا
على خلق الله تعالى ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام
وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات
الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه
وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان
واحمد وغيرهم واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات وهم
مستمرون عليه الى الآن وليس ندري ما الذي قدر الله تعالى فيما بعدنا من الاعصار ولو مالت
نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر لمالوا ايضا معهم ولم

يشكوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين
ومن عليه فرض عين واشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله من
ترك الصلوة في نفسه وتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي بذلك ستر عورة من يصلي
عريانا ولا يجد الثوب فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما زعم الفقيه ان وقوع النوادر التي
عليها اكثر مباحثه ممكن والمشتغلون به مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه
عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلوة التي هي اقرب القربات الى الله تعالى عصى بذلك فلا
يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب
بل في البلد فروض كفايات اهم منه ولا قائم بها ولا يلتفتون اليها ولا يشتغلون بها كالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وربما يرى الفقيه في مجلسه حريرا ملبوسا او مفروشا وهو ساكت
ويباحث في مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه متقرب
الى الله بفرض الكفاية فكن احد الرجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ
من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت مشغولا بنفسك
فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق بالاعمال وانما
الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب ما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات
المذمومة من الحرص والحسد والكبر والعجب واخواتها من الخصال وجميع ذلك مهلكات
فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة
وعلاجها يتحرز ذلك بك الى المقامات المحمودة فان القلب اذا فرغ عن المذموم امتلأ
بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزرع والرياحين فان لم
تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفي الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه

في طلب اصلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب تحت ثيابه و
همت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه
من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك
ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا وعادة ميسرة فيك فاشتغل بفروض الكفاية والعلماء
ثلثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه
وغيره وهم الداعون الى الله تعالى عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو
الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة
الجاه فانظر من اي اقسام انت واشتغل بالاعتذار له ولا تظنن ان الله يقبل غير الخالص
لوجهه من العلم والعمل وطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو
الى ترك الدنيا وذلك فيما كان حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله الشمع
الذي يحترق ويستضيء به غيره واما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله النار المحرقة التي
تاكل نفسها وغيرها فقد تبين لك ان الاهم معرفة آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع
الغرور وآفات الاعمال وقد اندرست ذلك في هذه الاعصار ولا ينبغي ان يخوض في امر حتى
يتثبت ويعلم ذلك بنور العلم او بنور علماء الآخرة انه لله ام لا وكل من خاض شبهة بغير تحقيق
فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله صلعم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث واراد
به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر
وعظمه كان الصديق رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل
باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها فاتبع الهوى فاذا النظر لا بد للمراقبة نظر
في الهمة والحركة امن الله ام للهوى وقد قال النبي عم ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف

مطلب

في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة
على الدنيا واظهر ما ينكشف له في حركاته ان يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلعم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثاني المراقبة عند الشروع في العمل بتفقد كيفية العمل
ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه اكمل ما يمكنه وهذا لازم
له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله في جميع ذلك
قدر على عبادة الله فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا فينبغي
ان يقعد مستقبل القبلة لقوله عم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا
يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل
القبلة مع ساير الآداب التي ذكرناها في موضعها بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعات آدابها
وفاء بالمراقبة فاذا لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او في معصية او مباح فمراقبته في
الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعات الآداب وحراسته عن الآفات ومراقبته في المعصية
بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير ومراقبته في المباح بمراعات الادب
ثم بشهود المنعم بالنعمة وبالشكر عليه ولا يخلو العبد في جميع احواله عن بلية لا بد من الصبر
عليها ونعمة لا بد من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض
عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة
الله ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعة الله
ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
فينبغي ان يتفقد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلاث فاذا كان فارغا من الفرايض
وقدر على الفضايل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل به فان من فاته مزيد ربح وهو

قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضايل فبذلك ياخذ العبد من دنياه
لآخرته كما قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات
ثلثة ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف انقضت في مشقة او رفاهية وساعة مستقبلة
لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله عليها وساعة راهنة ينبغي
ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه وان لم تاته الساعة الثانية لم يتحسر وان اتته الساعة
الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاول ولا يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم
على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في آخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن ان يكون
آخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة ويكون
جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر رض لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد
او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وبمعناه قال علي رض على العاقل ان يكون له اربع
ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى
عليه وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على الساعات ثم من
لا ينبغي لا يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام فيه من العجايب
ما لو تفكر وفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم
ينظرون فيه بعين العبرة والاعتبار فينظرون في عجايب صنعه وكيفية ارتباط قوام الحيوانات
به وكيفية تقدير الله الاسباب وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة
فيه كما فصل بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين
المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودون لو استغنوا عنه ولكنهم يرون
انفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقسم يرون في الصنعة الصانع

ويعرفون منها الى صفات الخالق فتكون مشاهدتهم ذلك سببا للتذكر ابواب من الفكر ينفتح
عليهم بسببه ومن اعلى المقامات ومن مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا
راى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وقسم رابع ينظرون
اليه بعين الرغبة والحرص فيتاسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون
منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون
ان الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته وعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيئا من خلق الله تعالى
بغير اذن الله تعالى فقد ذم الله فهذا من المراقبة للاعمال على الدوام وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه
تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصول واما المجاهدة فهي ان العبد بعد ما حاسب نفسه وراها قد
قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات وان راها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل
او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما
فات وتداركا لما فرط وهذا انما يكون بعد المحاسبة ومنها ان يحاسب نفسها اخر النهار ساعة
على جميع حركاتها وسكناتها فيحاسب اولا على الفرائض فان اداها على وجهها شكر الله عليها
ورغبها في مثلها وان فوتها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل
وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط
كانه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقراط فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها
خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره
وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره وخواطره
وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه
لم اسكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر اداء الواجب فيه كان ذلك القدر

القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عليه ويكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه
على قلبه وفي جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان
وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب
وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم
ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء
الظاهرة والباطنة كما نقل عن ابن الصمة انه حاسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب
ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتى القى الملك
باحد وعشرين الف ذنب وخمسمائة ذنب كيف وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا
عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى وهكذا ينبغي
ان يحاسب على الانفاس وعن المعصية بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل
معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي
في مدة قريبة والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه ثم مهما حاسب فلم يسلم عن مقارفة
معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى لا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة
المعاصي وانست بها وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا
اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب النفس بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي
ان يعاقب النفس بمنع النظر وكذلك يعاقب كل عضو من اعضائه بمنعه عن شهواته ونظر
بعض السلف نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان
يشرب الماء الحار ليتنغص على نفسه العيش ويحكى ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة فقال
متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها

ويحكى ان تميم الدارى نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع وكان
الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول للنفس ما
حملك على ان صنعت يوم كذا كذا ورأى محمد بن بشر داود الطائى وهو يأكل خبزا بغير
ملح فقال لو اكلت بملح فقال ان نفسى لتدعونى الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام
فى الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولى الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك
وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير فى امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم
خرج امرهم من الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهى اعظم عدو لك واشد
طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم
ان يشوشوا عليك عيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان
فيه النعيم المقيم الذى لا آخر له ونفسك هى التى تنغص عليك عيش الآخرة فهى بالمعاقبة
اولى من غيرها فهكذا اعمال عمال الله فقد عاقب عمر بن الخطاب رض نفسه حين فاتته صلوة
العصر فى جماعة بان تصدق بارض له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر رض اذا
فاتته صلوة جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق
رقبتين وفات عن ابن ابى ربيعة ركعتى الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل
على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة النفس و
مواخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت لا تطاوعنى نفسى على المجاهدة على الاوراد
فما سبيل معالجتها فاقول علاجها ان تسمعها ما ورد فى فضل المجتهدين ومن انفع
اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد فى العبادة فتلاحظ احواله
وتقتدى به الا ان هذا قد تعذر اذ قد فقد فى عباد الله من يجتهد فى العبادة اجتهاد الاولين

الاولين فينبغى ان تعدل من المشاهدة الى السماع فلا شئ انفع من سماع احوالهم ومطالعة
اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد
لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدى بهم فيمتع نفسه اياما قلائل بالشهوات
المكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الآباد ونعوذ بالله منه ونحن
نورد من اوصاف المجتهدين والعاملين ما يحرك به رغبة المريد فى الاجتهاد بالاقتداء بهم
فى اخر هذا الكتاب ان شاء الله فقد قال النبى عم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم
بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة قال الله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله
قال النبى عم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت
طوايف منهم ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شئ منها ادبر
ولهى كانت اهون فى اعينهم من هذا التراب الذى تطأونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش
عمره كله ما طوى لاحدهم ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض
شيئا قط ادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على
اطرافهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك
رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا فى شكرها وسألوا الله ان يتقبلها واذا
عملوا السيئة احزنتهم فسألوا الله ان يغفرها لهم و والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك
ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز رح يعودونه فى مرضه واذا فيهم شاب
ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذى بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين اسقام و
امراض فقال سألتك بالله الا صدقتنى فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا
فوجدتها

مرة وصغر عندي زمنها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها فكأني انظر الى
عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهاري واسهرت ليلي و
قليل حقير كلا انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال ابو نعيم كان داود الطائي يشرب
الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين شرب الفتيت ومضغ الخبز قراءة خمسين
اية وكان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى فراشه وكانوا يقولون يا عجبا لمن يعرف ان
الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال ثابت البناني لقد ادركت
رجالا كان احدهم يصلي فيعجز حتى ما ياتي على فراشه الا حبوا قال رجل من اصحاب علي كرم
الله وجهه صليت خلف علي رض الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى
طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله رايت اصحاب محمد صلعم كانوا يصبحون شعثا غبرا
صفرا قد باتوا الليل سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم
وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم
وكان القوم باتوا غافلين وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود
حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلي على قدم واحد حتى صلى الصبح بوضوء العشاء
وقال علي بن ابي طالب رض سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من
البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وعن القاسم الشيباني قال
كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات وكان يقوم ويصلي ليلا طويلا فاذا
كان السحر نادى باعلى صوته ايها الركب المعرسونا اكل هذا الليل ترقدونا ولا تقومونا
فتدخلونا فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن
ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقد انشدوا
فيهم

فيهم عليل الجسم مكتئب الفؤاد تراه بقنة او ببطن وادي ينوح على معاص فادحات
يكدر ثقلها صفو الرقاد فان هاجت مخاوفه وزادت فدعوته اغثني يا عمادي فانت
بما الاقيه عليم كثير الصفح عن زلل العباد وانشدوا ايضا الذ من التلذذ بالغواني
اذا اقبلن في حلل حسان منيب فر من اهل ومال يسيح الى مكان من مكان ليخمل
ذكره ويعيش فردا ويظفر في العبادة بالاماني تلذذه التلاوة اين ولى وفكره بالفؤاد
وباللسان وعند الموت ياتيه بشير يبشره بالنجاة من الهوان فيدرك ما اراد وما تمنى
من الدرجات في غرف الجنان وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم ثلث مرات
ويجاهد نفسه في العبادة غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل
سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيمة فقيل خمسون الف سنة فقال كيف يعجز احدكم
ان يعمل سبعة آلاف سنة حتى يامن من ذلك يعني انك ان عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة
الاف سنة تخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت
بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والاخرة لا غاية لها وهكذا كانت سيرة السلف الصالحين
فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت عن المجاهدة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الآن
وجود مثلهم فان لم يكن ابل فعز او خير نفسك بالاقتداء بهم وهم العقلاء والحكماء وذوو
البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترضى الا ان
تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتوثر مخالفة العقلاء فان حدثتك
نفسك ان هؤلاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات وقل
الا تستنكفين يا نفس ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل يقصر عن امراة في امر
دينها كانت حبيبة العدوية اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها

درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها
وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلوتها فاذا كان السحر وطلع
الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنأ
او رددتها علي فاعزى ولعزتك هذا دأبي ودأبك ابدا ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من
بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك وقال يحيى بن اسباط كنت اشهد مجلس
شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا
خلت فامرناها بالرفق بنفسها او اقصرت عن هذا البكاء شيئا فقال انت وذاك قال
فاتيناها فقلت لو رفقت بنفسك او اقصرت عن هذا البكاء شيئا لكان لك اقوى
على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت ان ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما
حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي وانى لي بالبكاء فلم تزل تردد وانى لي بالبكاء
حتى غشي عليها قالت امرأة من المتعبدات رأيت في منامي كاني ادخلت الجنة فاذا اهل
الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شأن اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون
الى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها قلت ومن هذه المرأة قال امة سوداء
من اهل الابلة يقال لها شعوانة قالت قلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك فاذا انا بها
على نجيبة تطير بها في الهواء فلما رأيتها ناديت اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت
مولاك فالحقني بك قالت فتبسمت الي قالت لم يأن لقدومك ولكن احفظي عني اثنين الزمي
حزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسين
كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت
فلمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا غفرت لي ذنوبي

ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي بحبه لي اخرجني
من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام كانت بريرة متعبدة
وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت
عيناها من البكاء فعذلها بنو عمها في كثرة البكاء فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فما يضرها
ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيد مما بكاء اطول من هذا ثم اعرضت
فقال للقوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار
تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي
اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت
الى المحراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت لها ما جزاء
من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا وقال الخواص دخلنا على
رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت
وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيئا من العفو ليهون عليها الامر فشهقت
ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اك
شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلوتها وعليك ان كنت تريد ان تكون من المجاهدين
ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين والمجتهدات لينبعث نشاطك ويزيد
حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن
سبيل الله وحكايات المجتهدين والمجتهدات غير محصورة فعليك بمطالعتها فان حدثتك
نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما يتيسر الخير في ذلك الزمان بكثرة الاعوان والان
فان خالفت اهل زمانك رأوك مجنونا وسخروا منك فوافقهم فيما هم عليه ولا يجري عليك

الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تغتري بحيل غرورها وتنخدع
بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم
ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقيهم وتركبي سفينة تنجو
بها من الغرق فهل يختلج في قلبك ان المصيبة قد عمت طابت ام تتركي موافقتهم و
تستجهليهم في صنيعهم فتأخذي حذرك مما دهاهم فان كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق
وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الابد وانت متعرضة له في كل
حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولم يهلك الكفار الا موافقة اهل زمانهم حيث
قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك
او حملها على الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها بسوء نظرها
لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها وهذا ايضا علاج للمجاهدة نافع جدا في توبيخ
النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء
ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر
الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت
وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت
نفسك من النفس اللوامة التي اقسم الله تعالى بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة
الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة من تذكيرها ومعاتبتها
ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى يا ابن مريم
عظ نفسك اولا وان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال الله تعالى فذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها ابدا تتعزز
بفطنتها

بفطنتها وهدايتها وتشتد انفتها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها يا نفس ما اعظم جهلك
تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك
من الجنة والنار وانك صائرة الى احدهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين
باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت
بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت
اما تعلمين ان الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا يأتي
في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار
ولا يأتي في الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون الصبى بل كل نفس من الانفاس
يمكن ان يكون فيها الموت فجاءة فان لم يكن الموت فجاءة يكون المرض فجاءة ثم يفضي
الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى
اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه
وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك
ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك و
اقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك او اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان
غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه
افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه
فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر
طاقتك ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا
لا تعولين على كرم الله في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه

ولا تتكلين الى كرم الله تعالى واذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا تنقضي
الا بالدينار والدرهم ما لك تنزعين الروح في طلبه وتحصيله من وجوه الحيل فلم لا
تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز او تسليط عبد من عبيده ليحمل اليك حاجتك
من غير سعيك وطلبك افتحسبين ان الله تعالى كريم في الآخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان
سنة الله تعالى لا تبديل لها وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى
ويحك ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق
ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال
في امر الآخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل بامر الدنيا خاصة وصرفك عن
السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تكالب على طلبها تكالب المدهوش المستهتر
ووكل امر الآخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات
الايمان لو كان الايمان باللسان فلماذا كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك
كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات
اتحسبين ان تتركين سدى الم تكن نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا اضمارك فما اكفرك واجهلك اما
تتفكرين انه من ذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك
افتكذبينه في قوله ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك
ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت
نفسك فيه او كان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة اقل
عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وظن مع نقصان عقل وقصور علم العجب
انه

انه لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة ببرهان ودليل
اكان قول الانبياء والعلماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء
او صار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها و
افاعيها وعقاربها احقر عندك من عقرب لا تحسين بالمها الا يوما او اقل منه ما هذا افعال
العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت قد
عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك
من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل هبي انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين
ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك
فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا
بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة من رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين
من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء
تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هبي ان الجهد في آخر العمر نافع وانه
موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه وان اوحي اليك
بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك
عن مخالفة شهواتك لما فيه من التعب والمشقة افتنتظرين يوما يأتيك لا يعسر فيه
مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله لك قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة
بالمكاره ولا تكون المكاره خفيفة على النفوس هذا محال وجوده اما تتاملين منذ كم
تعدين نفسك وتقولين اليوم وغدا وقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته
اوما علمت ان الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم

فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد لقلعها فاذا
عجز عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة
اخرى مع العلم بان طول المدة تزيد الشجرة قوة وتزيد القالع ضعفا ووهنا فالا يقدر
عليه في الشباب فلا يقدر عليه في المشيب بل من العنا رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب
الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحنا فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل فاذا كنت ايتها
النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمة واية
حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني من الاستقامة الا حرصي على التلذذ
بالشهوات وقلة صبري على الالام والمشقات فما احمقك واشد غباوتك واقبح
اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدرات
الدائمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها
في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض اشار اليه الطبيب بترك
الماء البارد ثلثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول العمر واخبره انه ان شرب
مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما يقتضي العقل في قضاء حق الشهوة
ايصبر ثلثة ايام ليتنعم طول العمر او يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلثة
ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثمائة او ثلاث الاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد
الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلثة ايام بالاضافة الى جميع
العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة
او الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق على الم
عذاب النار ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي اما الكفر الخفي

الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب
واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله وعفوه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا
تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز وحبة من المال وبهذا الجهل تستحقين لقب
الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحيوة
الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك مهما لغيرك ولا تضيعي
اوقاتك فالانفاس معدودة فاذا مضى نفس فقد ذهب منه بعضك فاغتنمي الصحة
قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحيوة قبل
الموت واستعدي للاخرة على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين للشتاء بقدر طول
مدته فتجمعين له القوت والحطب واللبد والجبة وجميع الاسباب ولا تتكلين على
فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب فانه قادر على ذلك
افتظنين ان زمهرير جهنم اقل بردا واقصر مدة من زمهرير الشتاء ام تظنين ان العبد
ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يدفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وساير الاسباب فلا
يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى في ان
عرفك طريق التحصن ويسر لك اسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما
ان كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديد
وحجر حتى تدفع بها برد الشتاء عن نفسك كان شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه
خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك اذ جعله الله سببا لاستراحتك فطاعتك ومجاهدتك
ايضا هو مستغني عنها وانما هو طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اسا فعليها

والله غني عن العالمين ويحك اتزعمين عن جهلك وفي اخرتك بدنياك فما بعثكم ولا خلقكم
الا كنفس واحدة وكما بداكم تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يا
اراك الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مفارقتها وتوكدين
في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن اهوال القيمة واحوالها
افما انت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترى ان من دخل دار ملك ليخرج
من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة
الى مفارقته اهو معدود من العقلاء او من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار ملك الملوك
وما لك فيها الا مجاز المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلعم ان روح
القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت و
اعمل ما شئت فانك مجزي به اما تعلمين يا نفس ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس
بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم
المهلك وهو لا يدري او ما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا
وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما تراهم كيف يجمعون ما لا ياكلون ويبنون
ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره
قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه
وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين يا نفس من مساعدة
هؤلاء على حماقتهم واحسبي انك ذات بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميل بالطبع الى
التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا
واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين من نفسك العقل والذكاء

والذكاء يا نفس ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن
هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يا نفسي اسكرك حب الجاه وادهشك عن فهمها
او ما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من
على وجه الارض سجد لك واطاعوك افما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت
ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك وذكر
من ذكرك كما ورد على الملوك الذين من قبلك وهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا
فكيف تبيعين ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا
من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب
كيف ويأبى لك ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك امر محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين
الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة
شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا عن سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها
بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بالدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك عن جماعة
من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا
يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما اجهلك واخس همتك واسقط رأيك اذ رغبت
عن ان تكوني في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد
الابدين لتكوني في صف النعال من غمار الحمقى الجاهلين اياما قلائل فيا حسرة عليك
اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك يا نفس قد اشرفت على الهلاك واقترب الموت
وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن
ذا يرضي عنك ربك بعد الموت ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها

وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرا في حق نفسك
فكيف اذا اضيعت البقية واستمررت واصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت
موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما
علمت يا نفس ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك قد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان
المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك معهم اما تعلمين يا نفس انهم يتمنون
الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك
لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروها لو قدروا عليها وانت تضيعين ايامك
في الغفلة والبطالة ويحك يا نفس اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين
الله في السر بالعظائم فتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك يا نفس اهو اهون
الناظرين عليك تامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله وانت
فارة منه وتذكرين الله وانت له ناسية اما تعلمين يا نفس انك انتن من العذرة لا يطهر
غيره ولا تطمعي في تطييب غيرك وانت غير طيبة في نفسك ويحك يا نفس لو عرفت نفسك
حق المعرفة لظننت ان الناس لا تصيبهم بلاء الا بشومك ويحك يا نفس قد جعلت نفسك
حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر منك ومع هذا فتعجبين باعمالك وفيها من
الافات لو نجوت منها راسا براس لكان الربح في يدك وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك
وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبده مائتي الف سنة واخرج ادم من الجنة
بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس ما اغدرك ويحك يا نفس ما اوقحك ويحك
يا نفس ما اجهلك وما اجراك على المعاصي ويحك يا نفس كم تعقدين فتنقضين ويحك يا نفس
تعهدين فتغدرين ويحك يا نفس اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك غير مرتحلة
عنها

عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا شديدا واملوا بعيدا
فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا ويحك يا نفس اما لك بهم عبرة اما لك
اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى الاخرة وانت من الخالدين هيهات هيهات ساء
ما تتوهمين ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على وجه الارض قصرك
وان بطنها عن قليل قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي ان تبدو رسل ربك
منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه يبشرك بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او
يقبل منك الحزن او يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس انك تدعين الابر
وانت عنه فارة وتذكرين بالله وانت له ناسية ومع هذا كله تدعين البصيرة والفطنة
ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال
يزيد وعمر ينقص تعرضين عن الاخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة
عنك فكم من مستقبل يوما لم يستكمله وكم من مؤمل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك
واقاربك وجيرانك وترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري ايتها النفس
يوما آلى الله فيه على نفسه ان لا يترك فيه عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يسئله عن عمله
دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري يا نفس باي قلب تقفين بين يديه وباي لسان
تجيبين واعدي للسوال جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام
طوال وفي دار زوال لدار مقام وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود واعملي
قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار
ولا تفرحي بما ساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ولا يشعر فويل لمن
الويل له ثم لا يشعر يضحك وياكل ويشرب ويلهو وقد حق له في كتاب الله انه من

من وقوع النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها
اختيارا وطلبك للاخرة ابتدارا ولا تكن ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي
وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف
ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة
واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار ولا ارى لك بها صبرا
ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت الشقاوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها
بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة
والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع
على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمات الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك
على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر
لما خلق له فان بقي فيك مجال الوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ
بالله منها فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طريق الخير عليك فان
ذلك اضطرار وليس برجاء فانظري الان هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت
بها وهل تسمح عينيك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من
بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستغيثي
يا ارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية
لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت
وتماديك قد طال وقد طال وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك العلل
ولا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجا الا الى مولاك فافزعي

فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم
المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر وقد اصبحت والله
مضطرة الى رحمة الله محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق و
انقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم تكسرك التوبيخ والمطلوب منه كريم والمسؤول
عنه جواد والمستغاث به رؤوف والرحمة واسعة والكرم فايض والعفو شامل للمتبذل
الباكي وللمتضرع التائب الصادق وقولي يا ارحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم
يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجري الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا استحيي
هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل
اغاثتي وفرجي واري اثار رحمتك وارزقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة
عصمتك يا ارحم الراحمين اقتداء بابيك ادم عم فقد قال وهب بن منبه لما اهبط
الله تعالى ادم عم الى الارض من الجنة مكث حولا لا ترقى له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه
في اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس راسه فاوحى الله اليه يا ادم ما هذا الجهد
الذي اراك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي
فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد
الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت
والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله عز وجل اليه يا ادم
الم اصطفيك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك
بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي و
تعاهدت موعدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك

بعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلنهم منازل العاصين فبكى آدم عند ذلك ثلثمائة
عام وكان عبد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليله الهي انا الذي كلما طال عمري زادت
ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لم تزل
صاحبها في طلب اخرى واعبيداه ان كانت النار لك مقيلا وماوى واعبيداه ان كانت
المقامع لرأسك تهيئا واعبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى
وكان عابد في الكوفة يناجي ربه في بعض الليالي كان يقول في اثناء مناجاته الهي
عصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني او بحبل من اعتصم ان قطعت
حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين
حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي
ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فمن كم اتوب وفي كم اعود
اما آن لي ان استحي من ربي فهذه طرقهم في مناجاتهم وفي مجاهدتهم وتوبيخ نفوسهم
فان مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من التوبيخ التنبيه والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة
والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله عنه راضيا ومنها ان يكون
شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين رأس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم تعلموا
اليقين اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك
قال عم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا
على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل
وقد اشار القرآن الى ذكر الموقنين في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات و
السعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال
بطلبه

بطلبه وتعلمه فان من لا يفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك اطلقه
فريقان لمعنيين اما النظار والمتكلمون فيعنون به عدم الشك الاصطلاح الثاني
الفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك
بل الى الاستيلاء والغلبة على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا شك
فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا يأتيه فمهما مالت النفس
الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس
بالتجويز والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك
عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى الاستعداد له فكأنه غير موقن به وفيهم
من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره
فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك فيه
اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة
ونحن اردنا بقولنا ان من شان علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين
بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم
وهو المتصرف فان قلت فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه فما متعلقات اليقين
ومجاريه وفي ماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه
فاعلم ان جميع ما ورد به الانبياء من اوله الى آخره هو من مجاري اليقين
فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرائع
فلا مطمع في احصائها ولكني اشير الى بعض امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء
كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق

بهذا مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان
غلب على عقله غلبة ازال منه الغضب على الوسايط والرضاء منهم والشكر لهم ونزل الوسايط
في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب
عليهما بل يراهما آلتين واسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو اشرف وهو ثمرة
اليقين الاول وروحه وفايدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات
والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية
هي المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضاء والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد
وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله تعالى للرزق في قوله تعالى وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق اليه
ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما
يفوته واثمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب
على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب
حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم
والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره وكذلك
يحرص الموقن بالثواب على تحصيل الطاعات فيحفظ قليلها وكثيرها وكما يجتنب طالب السلامة
عن السم قليله وكثيره وكذلك الموقن بالعقاب يجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها
واليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المومنين اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة
هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى
والتقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ

ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا
خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني
وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا في
جميع احواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا متماسكا محترزا
عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان
الله مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره و
تزيينه لعين الله الكالية اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لساير الناس وهذا المقام
في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق
المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب
مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة
من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجار
وابواب اكثر مما عددناه وذلك مذكور في ربع المنجيات فليطلب منه وهذا القدر كاف في
تفهيم معنى اللفظ الآن ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على
هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره
مذكرا لله وكان صورته دليلا على علمه فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم
في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله عبدا لبسة احسن من خشوع في
سكينة فهي لبسة الانبياء وسيماء الصديقين والعلماء واما التهافت في الكلام والتشدق
والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة
عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه وهو داب ابناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به

وهذا لان العلماء ثلثة كما قال سهل التستري عالم بامر الله لا بايام الله وهم المفتون في الحلال
والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين
وعالم بالله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما يغلب عليهم واراد
بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونعمته الباطنة التي افاضها على القرون السالفة
واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه قال عمر رض تعلموا العلم وتعلموا
للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا
من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله عبدا علما الا آتاه معه علما
وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من آتاه الله علما و
زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون
جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء
ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الاخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال
الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث
من طلب الرياسة بالعلم فيتقرب الى الله ببغضه فانه ممقوت في السماء والارض وروي
في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين كتابا في الحكمة حتى وصف
بالحكيم فاوحى الله الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني من ذلك
وانى لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق
وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله اليه قل له الآن وافقت رضائي
قال علي ايضا اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض
السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلثا تمت النعمة به على

العلم

اي رد

المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلثا تمت النعمة به على المعلم العقل
والادب وحسن الفهم وعلم الجهل بالاخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الاخرة
لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة قال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا
يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما
ينبغي ان يتوقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ
ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل
وفي خبر آخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله اوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم
قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده ويقولون قرأنا
فمن اقرأ منا ويقولون علمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ اولئك شرار هذه
الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الاخرة مفهوم من خمس آيات الخشية
والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الاخرة على الدنيا وهو الزهد اما الخشية ففي
قوله انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع ففي قوله خاشعين لله لا يشترون بآيات
الله ثمنا قليلا واما التواضع ففي قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واما
حسن ففي قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك واما الزهد ففي قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل
صالحا ولما تلا رسول الله عم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل ما هذا
الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك
من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال عما يفسدها ويشوش القلب ويهيج

في

الوساوس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر
لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة
واقصاها المواظبة على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها
وهذا مما يكثر تشعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه ويعم به البلوى
في سلوك طريق الاخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الاقضية و
الحكومات ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع وان وقعت فانما
تقع لغيرهم لا لهم واذا وقع كان في القائمين به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر
عليهم اناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة
من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق
على التقرب من الحق وشرها فان تسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق
وجزاؤه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان
ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين فذلك هو
الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء واقربهم
هديا من الصحابة اتفقت الكلمات في حقه على ذلك وكان اكثر من خواطر القلوب
وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفوس
وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك فمن اين اخذته فقال
من حذيفة اليماني وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لم يسمع من غيرك من الصحابة فمن
اين اخذته فقال خصني به رسول الله صلعم كان الناس يسئلونه عن الخير وكنت اسأله
عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف
الشر

الشر لا يعرف الخير وفي لفظ اخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا
فيسئلونه عن فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله وما يفسد كذا وكذا فلما رآني
اسئل عن افات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم المنافقين
وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان واكابر
الصحابة يسئلونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسئل عن المنافقين فيخبر باعداد
من بقي ولا يخبر باسمائهم وكان عمر رض يسئله عن نفسه هل يعلم به شيئا من النفاق فيبرئه
عن ذلك وكان عمر اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان
يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب واحواله دأب علماء الاخرة لان القلب
هو الساعي الى قرب الله وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشيء
منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون التحقيق
في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال شعر الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون
طريق الحق افراد لا يعرفون ولا يدرون مقصدهم فهم على مهل يمشون قصادا
الناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق
الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد
وطريقه مستوعر لاسيما معرفة صفات القلب وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة فان
ذلك نزع الروح على الدوام وصاحبها ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء
الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت
ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما
في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلثة

مثل سهل التستري والصبحي وعبد الرحيم وكان يجلس اليه ولكن الخلق الكثير الذي
لا يحصى والرسول اعلاه بشير قل ما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل
الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب ومنها ان تكون اعماله وعلومه على بصيرة و
ادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب
الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة من حيث ان قولهم وفعلهم
يدل على سماعهم من رسول الله صلعم ثم اذا قلد صاحب الشرع صلعم في تلقي اقواله وافعاله
بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسرارها واما المقلد انما يفعل الفعل لان الرسول عم
فعله فان الرسول لم فعله لا ابدا ان يكون لسر فيبغي فيه ان يكون شديد البحث عن اسرار
الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء العلم ولم يكن عالما ولذلك كان
يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان شانه الحفظ من غير اطلاع على الحكم
والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا
فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس ما من احد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي بن كعب القران ثم
خالفهما في الفقه والقراة جميعا قال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلعم قبلناه
على الراس والعين وما جاءنا عن الصحابة فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم
رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قراين احوال رسول الله صلعم واعتلاق
قلوبهم امورا ادركت بالقراين فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية
والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطاء واذا كان الاعتماد
على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فلا اعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب

بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمان الصحابة وصدر التابعين وانما
حدثت بعد مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين و
بعد وفاة سعيد المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب
الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القران وعن التدبر والتفكر
وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق وجماعة من الصحابة رض
تصحيف القران في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلعم وخافوا
اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القران يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين
والاقراء ليكون شغلهم وهمتهم حتى اشار عمر وبقية الصحابة بكتب القران خوفا
من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة
او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر رض لذلك فجمع القران في مصحف واحد
وكان احمد حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما لم يفعله الصحابة و
قيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الاثار وحروف التفاسير
عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن
جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري
ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض في ابطال
المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين في الاندراس
من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس
ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما
والقصاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون

اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم يكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم
حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف من
سلف واصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كان
اذا قيل لاحدهم فلان اعلم ام فلان فكان يقول فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان
الخواص يعرفون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون
سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار ليستهدف للنسبة
الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومنها ان يكون شديد التوقي عن
محدثات الامور وان اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه اتفاق الخلق على ما احدث بعد
الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان
فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف والمناظرات والقضاء والولاية وتولي
الاوقاف والوصايا واكل مال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة او في
الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم
وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك (وجليله خ)
من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة
واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي رض خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما
ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان نكترث بمخالفة اهل العصر في موافقة اهل عصر
رسول الله فان الناس راوا رايا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف
بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا انه لا سبيل للجنة سواه ولذلك قال الحسن
محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء يزعم ان الجنة لمن راى مثل رايه ومترف

ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار وان
رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه
قد عصمه الله منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن افعالهم ويقتص آثارهم متعرض
لاجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روى ابن مسعود موقوفا ومرفوعا انه قال انما هما
اثنتان الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله واحسن الهدي هدي محمد رسول الله
الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان
كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب
الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلعم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب
الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن
ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن
عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم
يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي في آخر الزمان خير من كثير العمل
وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع الى الامور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم
المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير
فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا وهلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم
اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير ما
عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فاكثر معروفات هذا العصر
منكرات في عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها
وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان

يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون
قل ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقايق الجدل والمناظرة من اجل
علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين
في الاذان والقرآن ومن ذلك التعمق في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب
البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظاير ذلك ولقد صدق
ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع وسياتي عليكم زمان يكون
العلم تابعا وكان احمد يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرايب ما اقل الفقه فيهم
والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى يسئلون عن
هذه الامور كما يسئل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال
ادركتهم يقولون مكروه ومستحب معناه انهم كانوا ينظرون في دقايق الكراهية
والاستحباب فاما الحرام فكان تجنبه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسئلوهم
اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها
وكان ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمله حتى يسمع
به في الاثر فيحمد الله اذا وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الآراء قد
قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا
فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الاثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلوة العيد
عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها
ليست ببدعة بل هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت
فقال ابو سعيد والله لا تأتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم وانما

انكر ذلك لان رسول الله صلعم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس
او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد
وفي خبر اخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله
وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلعم ان لله ملكا ينادي
كل يوم من خالف سنة رسول الله لم ينله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع
ما يخالف السنة بالسنة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة
الى من خالف امر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر فاما قلب الدولة فلا وقال
بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف
فالكلام فيه تكلف وقال اخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن
وقف معه اكتفى قال صلعم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه الغالي ويرتفع
اليه التالي قال ابن عباس ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله اتخذوا
دينهم لعبا ولهوا وقال افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة
ما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث
جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل
هؤلاء ما نصيب منهم شيئا قد اتعبونا فيقول انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم
وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالوا منهم حاجتكم فلما جاء التابعون
بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين وقالوا ما راينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء
بعد الشيء من الذنوب فاذا كان اخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم حسنات
فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم فقال

ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم يلعبون بهم لعبا ويقودونهم بأزمة
أهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل حسناتهم سيئات
قال فجاء قوم بعد القرون الأولى فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها
واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأهواء وقادهم
أين شاؤوا فان قلت من أين عرف وقائل هذا المشاهد إبليس للحرث بذلك
فاعلم ان أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بأن يخطر
لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة و
تارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى
الدرجات وهي من درجات النبوة العالية ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين
جزءا من النبوة واياك أن يكون حظك من العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه
هلك المتحذلقون (المتكبرون) من العلماء الزاعمين انهم أحاطوا بعلوم المعقول والجهل خير
من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الأمور لأولياء الله ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه
انكار للأنبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين انما انقطع
الأبدال في أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر الى
علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال
سهل التستري ان من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام
أهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم
في كل ما يقول لأن كل انسان يخوض فيما أحب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال
الله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا والعوام العصاة

العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين انهم من العلماء لأن العامي يعترف
بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وانما هو مشتغل من العلوم
التي هي وسائله الى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال
مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على أكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع
الطمع من اصلاحهم فالأسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما ذكره في كتاب
العزلة (بيانه صح) ولذلك كتب يوسف بن أسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد
أحدا يذكر الله معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد
صدق فان مخالطة الناس لا ينفك عن غيبة أو عن سماع غيبة أو عن سكوت على
منكر وأحسن أحواله أن يفيد علما ولو تأمل علم ان المستفيد انما يريد أن يجعل
ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا وظهيرا وممهدا
لأسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير
كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد
به استعانة على قطع الطريق وهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع
كل واحدة منها جملا من أخلاق علماء السلف فكن أحد رجلين اما متصفا بهذه
الصفات أو معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك أن تكون الثالث فتلبس على
نفسك بأن تبدل آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين
وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان
فيها هلك الجمهور فنسأل الله أن يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله
الغرور ثم اعلم ان للانسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال اذ

ادخار

لصاحب المال حال استغلال فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون
غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال بذل لغيره فيكون
به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب و
اكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل و
التمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلّم فهو الذي يدعى
عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك يطيب و
هو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن
الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو الناس وهي عارية وكمن كسا الناس
عن عري وعورته للناس بادية ما ان يواريها وكذبالة المصباح تضيء لغيرها
لغيرها وهي تحترق ما هو الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق وكالصخر
الصلد الذي يمر به الماء فلا ينتفع منه قال ابو بكر بن احمد بن علي بن ثابت
الخطيب البغدادي في كتاب اقتضاء العلم العمل عن مالك قال قرأت في التوراة ان
العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وانشد
اعمل بعلمك تغنم ايها الرجل لا ينفع العلم ان لم يحسن العمل والعلم زين وتقوى
الله زينته والمتقون لهم في علمهم شغل وحجة الله يا ذا العلم بالغة لا المكر
ينفع فيها ولا الحيل تعلم العلم واعمل ما استطعت به لا يلهينك عنه اللهو والجدل
وعلم الناس واقصد نفعهم ابدا اياك اياك ان تعتادك الملل وعظ اخاك
برفق عند زلته فالعلم يعطف من يعتاده الزلل وان تكن بين قوم لا خلاق لهم
فامر عليهم بمعروف اذا جهلوا فان عصوك فراجعهم بلا ضجر واصبر وصابر

اصلح نفسك

ولا يحزنك ما فعلوا فكل شاة برجليها معلقة عليك نفسك ان جاروا وان عدلوا
ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه
ووظائفه ولتكن ذلك من جملة الورع الوظيفة الاولى الشفقة على المتعلمين
وان يجريهم مجرى بنيه قال النبي عم انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصد انقاذهم
من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق
المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحيوة الفانية و
لولا العلماء وتعليمهم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو
المفيد للحيوة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الاخرة او علوم الدنيا على قصد الاخرة
لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه
وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد فحق تلامذة
الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكونوا الا كذلك ان كان مقصودهم الاخرة ولا يكون
الا التحاسد والتباغض ان كان مقصودهم الدنيا فان العلماء وابناء الاخرة مسافرون
الى الله وسالكون اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق
في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر الى
الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الاخرة فلذلك لا يكون
بين ابناء الاخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن
ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب
قوله انما المؤمنون اخوة داخلون في مقتضى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين الوظيفة الثانية ان يقتدي بصاحب الشرع فلا يطلب على افاضة

العلم اجراً ولا يقصد جزاءً ولا شكوراً بل يعلّم لوجه الله وطلباً لمرضاته وطلباً للتقرب
اليه ولا يرى لنفسه منّةً عليهم وان كانت المنة لازمةً عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذّبوا
قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الارض لتزرع فيها
لنفسك زراعة منفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض اذ تتقلد به منّةً وثوابك
بالتعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر
الا من الله قال الله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن
مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن
مسح اسفل مداسه ونعله بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك
هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي
رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم وانظر كيف انتهى امر الدين الى قوم يزعمون
ان مقصودهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما
فهم يطلبون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلطان لاستطلاق
الجرايات ولو تركوا ذلك لتُركوا ولم يُختلف اليهم ثم يتوقع المتعلم من المعلم ان يقوم
له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخَّرا
بين يديه في اوطاره فان قصّر في حقه ثار عليه وصار اليه من اعدى اعدائه فاخسس
بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من ان يقول غرضي من التدريس
نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرةً لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات
الوظيفة الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي
لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان

ان مطلب العلوم التقرب من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح
ذلك على نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر اكثر مما يفسده فان علم
من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف
في الفقه والجدال في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه
العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا
لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به وعلم الاخرة
ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس
ان يتركه فانه يتثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن يتنبه في اثناء الامر او اخره
اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للاخرة وذلك يوشك ان يؤدي
الى الصواب بالاخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب
الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق الشهوة
ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم
وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات
الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب و
غفلةً عن الله وتماديا في الضلال وطلب الجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج
به غيره من علوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر
لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد قيل لسفيان الثوري
وقد رؤي حزينا ما بالك حزينا فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم
حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا الوظيفة الرابعة وهي من دقايق

صنايع التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح
وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة
على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال النبي عم وهو مرشد كل معلم
لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك حكاية
على هذا قصة ادم وحوا وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل
لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان
الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم
ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته الوظيفة الخامسة ان المتكفل ببعض العلوم
لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه فانه خلق مذموم للمعلمين
ينبغي ان يجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره و
ان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة
الوظيفة السادسة ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله
فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر حيث قال نحن معاشر الانبياء
امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة
اذا علم انه يستقل بفهمها قال النبي عم ما احد يحدث الناس بحديث لا يبلغه عقولهم
الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رض واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت
لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما
يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه
وقال عيسى عم لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها
فهو

فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم
منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم
يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله صلعم يقول من كتم علما نافعا جاء يوم
القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته
فليلجمني وقول الله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده
ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق شعر
فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم الوظيفة السابعة
ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به فلا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا
وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش قلبه ويخيل اليه البخل اذ
يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله في كمال عقله
واشد الناس حماقة واضعفهم عقلا هو اوفرهم فرحا بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد
من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير
تشبيه ولا تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان
يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظواهر
انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي
وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقائق العلوم
الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وما تصح وتكمل به وما يفسدها وما يكره
فيها وتعليم الامانة في الصناعة التي هو بصددها وملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة خوف
بالجنة والنار كما نطق به القران ولا يحرك عليه شبهة فانه ربما يعلق الشبهة بقلبه و
قوة

ويعم ضررها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم
صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص الوظيفة الثامنة ان يكون المعلم
عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل بالابصار وارباب الابصار
اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه
سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها
لما كان يستأثر به ومثل العالم من المتعلم والمعلم المرشد من المسترشد مثل النقش من الطين و
العود من الظل فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه وكيف يستوي الظل والعود اعوج
ولذلك قيل لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال تعالى أتأمرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكثر اذ يزل بزلته عالم ويقتدون
يقتدون به فيها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضه
قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم
يغرهم بتهتكه فاذا علمت ذلك وفهمت ما ذكرنا لك كله من فضيلة العلم وتمييز علماء الاخرة
عن غيرهم وعلماء الاخرة عن علماء الدنيا وما ينبغي ان يتصف بها علماء الاخرة من الصفات المحمودة
ومن الاداب مع المتعلمين منهم فاعلم ان الاوراد للعالم في ترتيب اوراده ان يقسم اوقاته
كالعابد فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح
الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد طلوع الشمس الى الضحى
في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الاخرة ولكن ذلك لا يصادف في بلد
كبير اكثر من واحد او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر بقول سفيان انا تعلمنا العلم
لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله فانظر الى اواخر اعمار اكثر العلماء فاعتبرهم انهم ماتوا وهم

الخبر
ومنهم متهالكون على طلب الدنيا ومتكالبون عليها او راغبون عنها وزاهدون فيها ولكن بالمعاينة
واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفيان فان فيها التخويف والتحذير وهي سبب لاثارة الخوف
من الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال اثر في المآل فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق
بالفتاوى في المعاملات وفصل الخصومات وعلم المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب
فيه للدنيا الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى اخر عمره ولعل ما اودعناه من الكتب
هذه الكتب ان تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان ينزجر به في اخر
عمره فانه مملوء ومشحون بالتخويف بالله والترغيب في الاخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف
في الاحاديث وفي تفسير القرآن وسير الانبياء والصحابة والصالحين من بعدهم ولا يصادف
في الكلام والخلاف ولا في علم المذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان الحكم العالم
في هذا الزمان العزلة ان اراد السلامة فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة الدين بل لا
طالب الا لكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ او لجدال معقد يتوصل به
الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة واقرب
علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل به الى التقدم على الامثال وتولي الولايات
واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم يفتضح في الدنيا بالدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب
منهم لله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه ولكن ذلك
قد قل في العباد والبلاد فالحزم على العالم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الاصحاب
ما امكن وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول والجاه وحظه
تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فمن آفات العلم الخيلاء
كما قال ع ولذلك حكي عن بشر انه دفن سبعة عشر قمطرا من الكتب التي سمعها وكان من آفاته
صندوقا

قد نبهنا عليه بل العالم الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه والصواب له ان كان عاقلا في
هذا الزمان ان يتركه ولقد صدق ابو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك
والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا
غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق
ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل المال والجاه وان يتخذوك
سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك
ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرون حقا واجبا لذلك ويفرضون عليك ان تبذل
عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض
لهم سفيها بعد ان كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا
ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلام ابي سليمان وان خالف بعض الفاظه
وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن
يتردد اليهم فكانه يهدي تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل
برزق له على الادرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد
الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له
على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله
الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه
ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارف
الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة
حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والاساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم

مظالم ما يأخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء يمني نفسه بالاباطيل ويدليه
بحبل الغرور ويقول له لا تفتر عن صنيعك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله و
مذيع شرع رسول الله وناشر علم الدين وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله
واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل
العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشياطين لعلم بادنى تأمل
ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون
ولا يميزون بين الحرام والحلال فيلحظهم اعين الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم
اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما
فسد الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي
ليس له دواء ولنرجع الى المقصود ولنذكر كيفية ترتيب العالم اوراده فنقول ان
لم يجد عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة فليشتغل بنفسه وليترك التعليم وليصرف
ذلك الوقت اعني وقت ما بعد طلوع الشمس الى الضحى الى الفكر ويتفكر فيما يشكل
عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر والفكر وقبل الاشتغال
بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف
والمطالعة لا يتركها الا وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار
ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع
ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل
طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث
الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع

فيه العين واليد فالمطالعة والكتب بعد العصر ربما اضر بالعين وعند الاصفرار
يعود الى ذكر اللسان فلا يخل جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب
في الجميع واما الليل فاحسن قسمته فيه قسمة الشافعي اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء
ثلثه للمطالعة وترتيب العلم وهو الثلث الاول وثلثه للصلوة وهو الوسط وثلثه
للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر النوم
بالنهار فهذا ما استحب للعالم في تهذيب اخلاقه وترتيب اوراده الثالث المتعلم والاشتغال
بالتعلم افضل من الاعتزال والاستغراق للاوقات بالاذكار والنوافل فان المعتزل قبل
التعلم في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او تفكر في هوس وغايته ان يستغرق جميع اوقاته
باوراد ليستوعبها فلا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور تخيب سعيه
وتبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها
ويانس بها وعن خواطر فاسدة يعتريه فيها فيكون اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو
يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين فلا خير في العزلة قبل التعلم ولا خير في عزلة
العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزم في العبادة
فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف يعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا
بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة ضرره بمرضه فلا يليق العزلة
الا بالعلم فالتعلم اعظم العبادات في الدنيا الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة
اي استغني عنه
وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عين عليه عاص بالعزلة و
الخلوة والاشتغال بالنوافل والاذكار فكيف ظنك بالاشتغال بالتنزه والتطواف في البلاد
والبطالة واضاعة الاوقات التي هي راس ماله في تجارة الآخرة والذا ما السلف مكر

مثل النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل اي تفقه في الدين ثم اشتغل بنوافل الطاعات ثم
اعلم ان المتعلم له ترتيب في تحصيله وترتيب في اوراده اما الاول فلا بد له ان يشتغل
بالعلم الذي هو فرض عين بحسب ما يقتضيه حاله فالفرض اولا ان يتعلم معنى كلمتي الشهادة
وهي قولنا لا اله الا الله محمد رسول الله فليس يفرض عليه اولا في الحال ان يحصل كشف
ذلك لنفسه بالبرهان وبالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به جزما من
غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث
وبرهان اولا اذ اكتفى رسول الله صلعم من اجلاف العرب بالتصديق الجزم والاقرار من
غير تعلم دليل ومما فرض عليه ان يبادر فيما يحصل به الايمان بالجنة والنار و
الحشر والنشر والصراط والميزان والحساب والجزاء وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير حتى
يؤمن ويصدق جزما وقطعا من غير اختلاج ريب في قلبه والريب لا يجتمع مع الايمان
في قلب واحد والمريب كافر ومنافق وهذا الايمان من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق
بكونه رسولا ينبغي ان يتعلم الرسالة التي هو مبلغها وهي ان من اطاع الله ورسوله
فله الجنة ومن عصاه فله النار ولو خطر له شك في المعاني التي تدل عليه كلمتا الشهادة
فالفرض عليه حينئذ تعلم ما يوصل الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد
ان كلام الله قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات
اي علم اصول الدين
فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة لتعلم الاعتقادات بعضها
اي اصحاب الكلام
يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان في بلد شاع فيه الكلام او تناطق
الناس بالبدع فينبغي ان يصان عن ذلك بتعليم الحق وتلقينه اولا وان القي اليه
الباطل لغرض ازالته من قلبه وربما عسر ذلك ثم يبدأ بتعلم ما يتعلق بالصلوة من الوضوء

والغسل والتيمم وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان وستر العورة لو عرض
العوارض الموجبة لها مثل الجنابة والحيض والنفاس والسفر وغيرها ثم يتعلم الخشوع
وحضور القلب وساير المقامات الباطنة والظاهرة وحدودها واسبابها وعلاجها وساير
ما ذكر في كتاب الصلوة فان عاش الى رمضان ينبغي ان يتعلم ما يتعلق بالصوم من مهماته
ومفسداته وقد ذكر في الصوم ثم ان كان له مال فيلزم تعلم علم الزكوة وقد ذكر ما يجب ان يتعلم
في كتاب الزكوة وكذلك الحج وقد ذكر في كتاب المناسك فرض تعلمه ثم لا يخلو العبد عن
وقايع في عباداته ومعاملاته وعن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من
النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه عن القرب غالبا فاذا تبين انه
انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة علم العمل
والمعاملة مع الله ثم يتعلم الحلال والحرام ودرجاتها وما يحرم من المعاملات وما يحل حسب
ما يقتضيه حاله وما يحرم ويحل من الافعال والاقوال والاحوال وتعلم كل ذلك فرض [illegible]
بحسب ما يقتضيه الحال ويتجدد وكل ذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم
من مثل الخوض في الباطل والكذب والحلف الكاذب والحلف بغير الله وخلف الوعد و
الغيبة والنميمة والتنابز بالالقاب والتصلف وكلمة الكفر وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب
آفات اللسان ولكن يجب تعلم ذلك كلها وكيفية الاحتراز عنها على من ليس بابكم ولا
يجب على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ويجب على البصير ولا يجب على الاصم تعلم ما يحرم سماعه
ويجب على السميع ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن وقس على هذا
امثالها وكل ذلك ما يجب الا بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما
يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس يجب تعلمه وتعليمه كما لو كان لابسا

اعتقادات

للحرير او جالسا في غصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعلمه وتعليمه وما ليس ملابسا له
ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب
الخمر يجب تعليمه وتنبيهه عليه وما وجب تعلمه وجب عليه تعليمه
وانما الغرض المهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب ما يحمد منها وما
يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر
والعجب واخواتها من الخصال فتعلم ذلك كله فرض وتعلم حدودها وعلاماتها وجوامعها و
كيفية امتحانه ومعالجته وكيف لا يكون تعلمها فرضا وقد قال ثلث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وازالة كل ذلك فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة
حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج
هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وجميع ذلك مهلكات قد
ثبت بالكتاب والسنة كونها مهلكات وفرضية ازالتها ولكن اعمال الظاهرة انما تفيد
فايدة تامة وتكمل كمالا اذا جمع مع تنقية هذه العلل الباطنة واهمالها والاشتغال بالاعمال
الظاهرة فقط كتطلية الابرص ولا اخراج اخلاط بدون شرب المسهل والفصد و
طريقة العلماء يأمرون بمجرد الاعمال الظاهرة كطريقة الاطباء الذين يأمرون الاولى المرضى
بالاطلية والعلماء الكمل يأمرون بها جميعا مع تطهير الباطن وقطع مواد الشرور
المذكورة بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما يبادر الاكثرون بالاعمال
الظاهرة ويتركون تطهير الباطن عن هذه الشرور لسهولتها وصعوبتها كصاحب القروح
والجراحات والخنازير والبهق والدماميل الذي يبادر بالجهال الى الاطلية ويترك
شرب الادوية المسهلة المنقية للبدن عن الاخلاط الردية والمواد الصفراوية و

والسوداوية التي منها تهلك العلل الظاهرة فهولاء يزال يتعب في الاطلبة ويتعلم ويسال عن
الاطباء الطرقية الذين لم يجاهدوا ولم يتعلموا علم الطب ولم يزاولوا المرضى ولم يلازموا
المارستانات ولم يشاهدوا واكثروا طبخ الاشربة وخلط الادوية وليس لهم كثير تجارب
في تشخيص الامراض ومعرفة مقاديرها والقوة والضعف والافراط من الادوية ودرجاتها
في الحرارة والبرودة والقبض والاسهال والتنضيج وغير ذلك فيزيد المرض وينضاعف
الامراض يوما فيوما فيهلك المرضى بسببهم فيا ليتهم لم يعالجوا ولم يتشبهوا بالاطباء
فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد فراع التدريج وما
دمت صاحب غنم لا تشتغل بتعلم ذكور الابل والبقر بل قدم الاهم فالاهم واشتغل
بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما ذكرنا في موضعه ثم يتجرد في موضعه ثم يتجرد للكبائر المقامات
المحمودة التي سميت منجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلاء بالمحمود
والارض اذا انقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزروع والرياحين فان لم تفرغ
من فروض الاعيان لا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قد قام به فان
مهلك نفسه طلب اسغد حمق من قصدت العقارب والحيات للدغه وقتله وهو يطلب
المذبة ليدفع الذباب عمن لا يخلصه منها ولا ينجيه وان تفرغت من نفسك وتطهيرها
وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه كما امر الله تعالى في كلامه وذروا ظاهر الاثم وباطنه
وصار ترك ذلك لك خلقا وعادة متيسرة فيك فاشتغل بفروض الكفايات ان كنت
تقدر عليه فان من تفرغ من تعلم فرض الاعيان وكان لا يتاتى منه الخوض في سائر
العلوم وراى الاشتغال بالعبادات ولا اذكار فليعتزل وان كان يقدر على التبرز
في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه غاية الخسران بل ينبغي ان يشتغل بها فيبتدا

بكتاب

[illegible]

بكتاب الله ثم بسنة رسول الله ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ
والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم يشتغل بالفروع وهو علم
المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما
يتسع العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالبا للاستقصاء
فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها
بل لغيرها وكلما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شايع
علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب
الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله
اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام
لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار مثل درج اللباتي
لابن الخطيب وكالوجيز للواحدي والاقتصاد ما يبلغ ثلثه اضعافه مثل حقايق السلمي وتفسير
ابن عطية وتفسير ابن العطا والواحدي وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه لا مرد له
الى انتهاء العمر مثل مجمع البحور لابن الخطيب والبسيط للواحدي والثعلبي والماوردي
والقرطبي وغيرها واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة
على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمل عنك
من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصيله
تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليه
ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى
استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق

الكثير في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار
فيه على ما يحويه القدوري والهداية على مذهب ابي حنيفة وما يحويه مختصر المزني على مذهب الشافعي وخلاصة
المختصر للامام الغزالي والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلثة امثاله مثل الوقاية والهداية على
ابي حنيفة والوسيط للامام على مذهب الشافعي والاستقصاء كالمحيط والمبسوط
والواقعات على مذهب ابي حنيفة وكالبسيط على مذهب الشافعي الى ما وراء ذلك من
المطولات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف
لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقايق الامور من غير طريقه فيضيع الوقت ولا يحصل
المرام ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي
اوردناه في قواعد العقائد والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة كالاقتصاد للامام ولوامع
الادلة له ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي
وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم اما المبتدع بعد ان تعلم من الجدل ولو
شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال بالقصور
على نفسه وقدر ان عنده جوابا هو عاجز عنه واما الخلاف فيا شك التي احدث في هذه الاعصار
المتاخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف
فاياك ان تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع
العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله
رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من قال الفتوى عماد الشرع
ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات
لم يعرفها الاولون ولا الصحابة وقد كانوا اعلم بعلل الفتوى من غيرهم بل هي مع انها غير

مفيدة في علم المذهب فهي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي
اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم
الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل
بالصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا يصرف همته
الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا
شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر
نفسك في العالم وحدك لا مع الله وبين يديك ملك الموت والعرض والحساب و
الحجاب والجنة والنار وتامل فيما يعنيك فيما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام
قال رسول الله عم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث وقد تر وقد
رؤي بعض العلماء في المنام بعد موته فقيل ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها
وتناظر عليها فبسط يديه ونفخ فيهما وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت
الا بركعتين حصلتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا الجدل
وقال بعض السلف يكون في اخر الزمان قوم تغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب
الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل
وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق
الا منعوا العمل فلنقتصر بهذا القدر فقد اطنبنا الكلام فقد تبين لك الان شيئان
احدهما ان الغرض الاول على المتعلم تقديم طهارة النفس عن رذايل الاخلاق و
مذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن الى الله و
كما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث

والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث
الاخلاق وانجاسها وصفاتها قال النبي عم بني الدين على النظافة وهو كذلك ظاهرا و
باطنا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها على نجاسة الباطن اذ المشركون قد يكون
نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه متلطخ بالخبائث والنجاسات
عبارة عما يجتنب وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال
مهلكات في المآل ولذلك قال عم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل
الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب والشهوة
وساير ما ذكرنا كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه
الله في القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا بوحي الآية
وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما يتولاه الملائكة الموكلون بها وهم
المقدسون المطهرون المبرؤون عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون
بما عندهم من خزاين رحمة الله الا طاهرا ولسنا نقول المراد بلفظ البيت هو القلب
وبالكلب هو الغضب والصفات ولكنا نقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغيير الظواهر
الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية
بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار
ان تعبر مما ذكر الى غيره فلا تقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له
فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه عرضة ايضا للمصايب وكون الدنيا بصدد
الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر
انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله ومن الكلب الذي
ذم

ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى روح الكلبية وهو السبعية واعلم
ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على تمزيق اعراض
الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور
والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني
وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس
كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب
الرياسة في صورة الاسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد بذلك الاعتبار عند ذوي البصاير
والابصار وقد روى الامام العلامة الثعلبي في تفسيره قال اخبرني ابن فنجويه ثنا ابن
شيبة ثنا عبد الله بن احمد بن منصور الكسائي ثنا محمد بن عبد الجبار اخبرنا محمد
بن زهير عن محمد بن الهندي عن حنظلة الدوري عن ابيه عن البراء بن عازب قال
كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول الله صلعم في منزل ابي ايوب الانصاري فقال
معاذ يا رسول الله ارايت قول الله عز وجل يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا فقال
يا معاذ سالت عن عظيم من الامر ثم ارسل عينيه ثم قال يحشرون عشرة اصناف
من امتي اشتاتا قد ميزهم الله من جماعة المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير الحديث ثم فصله عم فقال اما الذين على صورة
القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت
الى آخر الحديث وقد ذكر هذا الحديث ايضا صاحب الكشاف والفخر الرازي في تفسير الكبير
وغيرهما وهذا الحديث حجة لنا على ما ذكرنا ومن اراد معرفة الحديث بتمامه فلينظر في
التفاسير المذكورة فان قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم قلنا فيها

ما ابعدك الله عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان اول ذلك العلم
ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما
انما الذي تسمعه من المترسمين حديثا يزخرفونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم
اخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم
نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء وكانه من اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين
معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا
فلم ينكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه لتعلمنا فان قلت اني
ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة
الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم عرفت ان علم
الآخرة اشبه لكن لما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه
من حيث كونه علما لله اذا قصد به التقرب الى الله وقد سبق الى هذا اشارة في موضع
وهذا احد وظائف المتعلم وينبغي للمتعلم ان يعلم ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم
غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جام قوته الى
الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الآخرة اعني ما يسمى
المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله ولست
اعني به الاعتقاد الذي يتلقنه العامي وراثة وتلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة
في تحصين ذلك كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع من ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد
طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر الصديق رضي الله عنه الذي لو وزن

لو وزن ايمانه بايمان العالم لرجح كما شهد له سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم اجمعين
فينبغي ان تكون حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين
ولا يرشدك اليه الا الحرص والطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله
وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم
الذين يلونهم وقد روي انه رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد
في يد احدهما رقعة وفيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى
تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل ان
اعرف الله تعالى اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب اعلم ان شرف
السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة
والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحياة
الابدية وثمرة الاخرى الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب
وعلم النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان
الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا تبين ان اشرف العلوم العلم بالله و
ملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك ان ترغب
الا فيه الثالث ان يكون قصده في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ورضا
الله والشكر له على نعم العقل وصحة البدن وازالة الجهل وهو راس الكفر وراس
كل شقاوة عن نفسه وعن سائر الجهال واحياء الدين وابقاء الاسلام فان
بقاء الاسلام بالعلم ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل انشد الشيخ الامام الاجل
الاستاذ برهان الدين صاحب الهداية شعر فساد كبير عالم متهتك واكبر منه

جاهل متنسك هما فتنة للعالمين عظيمة لمن بهما في دينه يتمسك وفي المآل السعادة
الابدية والقرب الى الله والترقي الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة المقربين ولا يقصد
الرياسة والمال ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران قال محمد بن الحسن رح لو كان الناس
كلهم عبيدي لاعتقتهم وتبرأت عن ولائهم ومن وجد لذة العلم والعمل به قلما يرغب
فيما عند الناس انشد الشيخ الاستاذ الامام الاجل قوام الدين حماد بن ابراهيم بن اسمعيل
الصفاري الانصاري املاء لابي حنيفة من طلب العلم للمعاد فاز بفضل من الرشاد
فيا خسران لطالبيه لنيل فضل من العباد اللهم اذا طلب الجاه للامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وتنفيذ الحق واعزاز الدين لا لنفسه وهواه فيجوز وقد ذكر بيانه
في كتاب ذم الرياء والجاه وينبغي ان يتفكر في ذلك فانه يتعلم العلم بجهد كثير فلا
يصرفه الى الدنيا الحقيرة القليلة الفانية شعر هي الدنيا اقل من القليل وعاشقها
اذل من الذليل تصم بسحرها قوما وتعمي ومنهم متحيرون بلا دليل وينبغي له ان
لا يذل نفسه بالطمع في غير المطمع ويتحرز عما فيه مذلة العلم واهله وكان لمحمد بن الحسن
مال كثير حتى كان له ثلثمائة من الوكلاء على ماله انفق كله في العلم واختار الفقر ولم يبق
له ثوب نفيس فرآه ابو يوسف في ثوب خلق فارسل اليه ثيابا نفيسة فلم يقبلها
وقال عجل لكم واجل لنا ولعله انما لم يقبلها وان كان قبول الهدية سنة لما رأى
ذلك مذلة نفسه قال ع ليس للمؤمن ان يذل نفسه المذلة غير التواضع وهو بين
التكبر والمذلة على ما يجيء بيانه ان شاء الله تعالى والمذلة حرام والتواضع واجب قال ركن
الدين المعروف بالاديب المختار شعرا لنفسه ان التواضع من خصال المتقي وبه
التقي الى المعالي يرتقي ومن العجائب عجب من هو جاهل في حاله اهو السعيد ام الشقي

ام

من الهلاك

ام كيف يختم عمره او روحه يوم النوى متسفل او مرتقي والكبرياء لربنا
صفة له مخصوصة فتجنبنها واتقي وحكي عن الشيخ فخر الاسلام انه جمع قشور
البطيخ الملقاة في مكان خال فاكلها فرأت ذلك جارية فاخبرت بذلك مولاها
فاتخذ له دعوة فدعاه اليها ولم يقبل لهذا وهكذا ينبغي لطالب العلم ان يكون
ذا همة عالية قال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع
فيه كان عليه وبالا يوم القيمة قال رسول الله صلعم ما زاد الله عبدا بعفو الا
عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال ابن المبارك راس التواضع ان
تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضلا
وان ترفع نفسك لمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضلا
وروي انه خرج يونس وايوب والحسن يتدارسون التواضع فقال لهما الحسن
اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من بيتك ولا تلقى مسلما الا رايت له عليك
فضلا وبالجملة المذلة غير التواضع ومن مذلة العالم ان يكون غرضه من سعيه للعلم جمع
حطام الدنيا واقامة الجاه عند اهل الدنيا كما ذكرنا غير مرة قال الغزالي رح في بعض
نصايحه للمترددين عنده من طلبة العلم ايها الولد كم من ليلة احييتها في المطالعة
وتكرار الدرس وكم من ليلة تركت فيها طيب المنام وليت شعري ما الباعث لك
في هذا ان كان الباعث لك طمع الدنيا وجذب حطامها وتحصيل المناصب والمباهاة
على الاقران والامثال فويل لك ثم ويل لك وان كان الباعث لك احياء الدين
المحمدية وشريعته وتهذيب اخلاقك وكسر النفس الامارة اعدى عدوك الذي بين جنبيك
فطوبى لك ثم طوبى لك ولقد صدق من قال في هذا المعنى سهر العيون لغير وجهك ضايع و

وبكا ومن لغير فقد كرباطل ايها الولد عش ما شئت فانك ميت واحبب ما شئت فانك
مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به ايها الولد اي منفعة يحصل لك من تحصيل علم
الكلام والخلاف والطب والنجوم ودواوين الشعر والعروض والنحو والصرف والحماسة
وديوان المتنبي وامثالها غير تضييع العمر بحق جلال ذي الجلال رايت في الانجيل ان
بين وضع الميت على الجنازة وبين وضعه على شفير القبر يسئل الله تعالى عنه بلا واسطة
ملكا اربعين سوالا اوله عبدي طهرت منظر الخلق سنين فهل طهرت منظري ساعة
ايها الولد لقد يجيء النداء من قبل الملك الجبار الى قلبك كل ساعة ولحظة ولمحة يا عبدي
ما تصنع بغيري وانت محفوف بخيري فاما انت اصم او تصامم من المنادي ايها
الولد العلم بلا عمل جنون والعمل بلا علم بعد فلا بد لكل احد من الجمع بينهما ايها الولد العلم
الذي لا يمنعك اليوم عن المعصية لا يمنعك غدا يوم القيمة من النار ايها الولد لو لم
تعمل اليوم بعلمك ستقول فارجعنا نعمل صالحا ويقال لك ايها الاحمق والضعيف
ضيعت اللبن قال الصديق الاكبر ان هذه الاجساد قفص الطيور او اصطبل
الدواب فانظر من ايهما انت والعياذ بالله لو كنت من الذين قيل في حقهم اولئك
كالانعام بل هم اضل فتيقن انك تنحط من الزاوية الى الهاوية ايها الولد اخذ الحسن
البصري يوما بين شربة ماء ليشرب فتنفس تنفس الصعداء وخرج الدخان من فيه وسقط
الكوز من يده غشي عليه فلما افاق سئل عن حاله فقال ذكرت امنية اهل النار حين يقولون
لاهل الجنة افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ايها الولد لو كان العلم المجرد
كافيا لما كان المطلوب منه نداء هل من سائل هل من تائب هل من مستغفر وقت الاسحار
ايها الولد هل تعرف المطلوب من قوله فتهجد به نافلة لك وكانوا قليلا من الليل ما يهجعون

وبالاسحار هم يستغفرون والمستغفرين بالاسحار وروي ان
النبي عم قال لواحد من الصحابة يوما يا فلان لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل
تدع صاحبه فقيرا يوم القيمة ايها الولد يكفيك هذا القدر من النصيحة لقد اسمعت
لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن انادي واذا كان هذا مقصد طلب لا محالة لاقرب
المقصد وهو علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى ساير العلوم
اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وعلم القراءة ومخارج
الحروف وعلم التفسير وعلم اصول الفقه والعلم بالرجال واساميهم واسامي
الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليتميز الصحيح عن
القوي والعلم باعمارهم ليتميز المرسل عن المسند فهذه كلها من العلوم الشرعية او مما
يتعلق بها وكلها محمود بل كلها من فروض الكفاية ولا تفهمن من غلوي في الثناء على علم الاخرة
تهجين هذه العلوم فان المتكفلين بالعلوم كالمتكفلين بالثغور فمنهم المقاتل
ومنهم الردء ومنهم ساقي الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم
عن الاجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنايم فكذلك من يجتهد في العلوم المذكورة
قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال الله تعالى هم درجات عند
والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا
قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى فهو ساقط القدر بل الرتبة
العليا للانبياء ثم للاولياء ثم للعلماء الراسخين ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة
من يعمل ذرة خيرا يره ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة الرابع ان تنبغ
العلوم لا المقصد كما يوثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا

للمتعلم من الترتيب تحصيلها

يمكن الا شاركة في الدنيا والاخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما نطق به
القران وشهد له نور البصاير بما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الاباد وعند
ذلك يصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه
النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله والنظر الى وجهه
الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى اوهام العوام والمتكلمين على ثلث مراتب
تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل له ان حججت وتممت
وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري
فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثة اصناف من الشغل الاول
تهيئة الاسباب كشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والاخر السلوك ومفارقة الوطن
بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل الثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة
الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد
الاسباب الى اخرها ومن اول سلوك البوادي الى اخره ومن اول اركان الحج الى اخره وليس قرب من ابتدا
باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة ولا كقرب من ابتدا بالسلوك
بل اقرب منه فالعلوم ايضا ثلثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم
الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا لا يتعلم على نية نيل السعادة الابدية وقسم يجري مجرى سلوك
البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة
التي عجز عنها الاولون والاخرون الا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق
ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطريق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة
التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته

وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل
سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة واما الفوز بالسعادة لا ينالها الا العارفون فهم المقربون
المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة
كما قال تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من
اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية
بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين
عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد
التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فتحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق
والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء المعاملة التي
هي سلوك طريق الاخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات
وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن
بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوسل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقا
نونه
في ضبط الناس على نهج العدل والسياسة في ناحية الفقيه واما اسباب الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال
العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشايعة لا العلوم العزيزة الباطنة
فان قلت لم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون البدن
ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل سر من اسرار الله لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة
بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية
وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية الماذون
ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح

من امره فكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر الاعضاء من البدن فلذلك الخلق والامر جميعا
والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين اذ ابين
ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا تفهم من هذا انه تعريض بتقديمه فالقائل بتقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري
ما يقول ولنقبض عنان الكلام والبيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة
هي الساعية الى قرب الرب لانها من امر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها واما البدن فمطيتها التي يركبها
ويسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر
اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه
في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده
ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة
والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد الات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة
ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم
هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في
الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق
الاعتدال في الاخلاط طب وعلم طريق الاعتدال في الاحوال بين الناس في المعاملات والافعال فقه وكل
ذلك لحفظ البدن الذي هو مطيته فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد
لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي
تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط التي بها تخرز الراوية للحج
ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب والواصل الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى سالك طريق الحج
او ملابسة اركانه فتامل هذا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد جهيد وتعب

شديد وجراءة تامة على مباينة الخلق والعامة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة
فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم ثم اعلم انا قد وجدنا كلمات منسوبة الى ابي حنيفة
تتعلق الى وظائف المتعلم فاحببنا ان نضيف الى هذه الوظائف منها واما بعد فلما
رايت كثيرا من طلاب العلم في زماننا يجدون ويجتهدون والى العلم لا يصلون او من
منافعه وثمراته يحرمون لما انهم اخطؤا طرائقه وتركوا شرائطه وكل من اخطأ الطريق
وضل لا ينال المقصود قل او جل اردت واحببت ان ابين لهم طريق التعلم على
ما رايت في الكتاب او سمعت من اساتذي اولي العلم والحكمة ومنها قال رسول الله صلى الله
طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة اعلم انه لا يفترض على كل مسلم طلب كل علم وانما يفترض
عليه طلب علم الحال كما يقال افضل العلم علم الحال وافضل العمل حفظ الحال فيفترض على
كل مسلم طلب ما يقع له في اي حال كان فانه لا بد له من الصلوة فيفترض عليه علم ما يقع في
بقدر صلوته من الخشوع والخضوع وحضور القلب وغير ذلك من اراد ان يطلع
على تلك الفوائد فعليه ان يطالع الكتاب المسمى بتعليم المتعلم المنسوب الى ابي حنيفة رح
واما ترتيب المتعلم او رسالة فكر ترتيب العالم وقال الامام ابو حامد الغزالي رح في ادابه
ان الاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار ونوافل الطاعات فينبغي له
ان يشتغل باستفادة العلم حيث يشتغل العالم بافادته بالتعليق والنسخ ويشتغل
بذكر العلم واستحضاره حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيب سائر اوقاته كما ذكرنا في العالم
وكل ما ذكرناه في فضيلة العلم والتعلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى
انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضور مجلس الذكر والعلم والوعظ
افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الاوقات

ففي حديث ابي ذر حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة
وعيادة الف مريض وقال صلعم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله
وما رياض الجنة فقال حلق الذكر وقال كعب الاحبار لو ان ثواب المجالس بدا
للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال
عمر بن الخطاب رض ان الرجل ليخرج من منزله وعليه الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع
العلم خاف واسترجع عن ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء
فان الله لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن اشكو
اليك قساوة قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر ورائ راهب مسكينة الطفاوية بعده المنام
وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات
ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هنيئة فقالت يا مولاي ما تسئل عمن ابيح لها الجنة
بحذافيرها فقال وبم ذلك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما ينحل من القلب من عقده
من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة اشرف وانفع من ركعات كثيرة
مع اشتمال القلب على حب الدنيا والمراد من الذكر ههنا العلم والفقه في الدين الذي
اشرنا اليه فيما مر من احوال العالم ويدل ما روي عن انس بن مالك انه لما قال رسول الله
لان اقعد مع قوم يذكرون الله من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع
رقاب فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري فقال لم يكن مجالس الذكر مثل مجالسكم
هذه انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا
فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها وتعلما وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة
بروايات واسانيد كقوله عم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض

الجنة قال مجالس الذكر وقوله عم ان لله ملائكة سياحين في الارض سوى ملائكة الخلق اذا
راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم فيحفون بهم ويستمعون
الا فاذكروا الله وذكروا انفسكم فنقل الناس ذلك الاسم المحمود الى ما ترى اكثر الوعاظ يواظبون
عليه بسبب تلبيس الشيطان وميل الطبع وقد ورد نهي السلف عن الجلوس عندهم والاستماع
منهم وقالوا لم يكن هذا في زمان رسول الله صلعم ولا في زمان ابي بكر وعمر رض حتى ظهرت الفتنة
فظهر الوعاظ الذين يخلطون الصدق بالكذب في الاخبار الصحيحة بغير الصحيحة يغرون الناس
ويسهلون عليهم سبيل المعاصي لينالوا مما في ايديهم من حطام الدنيا وعدلوا عن المنهاج الصواب
في الوعظ واستمر ذلك الى الآن وطار مثل الفتنة في العباد الى هذا الزمان فخرج عن المنهاج
وعاظ هذا العصر كافة الا من عصمه الله في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فصاروا
شياطين الانس فضلوا واضلوا عن سواء السبيل يصدون الناس عن سبيل الله ويجرؤون
الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي واصرارا على الذنوب
ونسيانا للتوبة ورغبة في الدنيا لاسيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل و
المركب يشهد فرقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا الجاهل اكثر مما يصلحه
بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فيجعلهم محبا وحريصا على الدنيا مع انه راس كل خطيئة
ومصرا على المعاصي وهو راس كل شقاوة وقد كان الواجب عليهم حل عقدة الاصرار و
الحث على التوبة والمعالجة وهي لا تحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على
الداء ولا معنى للدواء الا مناقضة اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك
السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشيء الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة
ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة

والغفلة راس الخطايا قال تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فلا دواء
اذا للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة
وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض آخر وباصلاح مجموعهما ينقمع الاسباب المهيجة
للصفراء فهكذا ينبغي ان تفهم علاج القلب مما به من مرض الاصرار فاذا لهذا الدواء اصلان احدهما
احدهما العلم والآخر الصبر وكما ان المريض يحتاج في طلب الصحة الى التصديق بامور اولا ان يصدق
على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب جل اسمه
الاعتقاد باصل الطب فان من لا يعتقد به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك والثاني
انه لابد وان يعتقد في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس
ولا يكذب فان اعتقاده باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الاعتقاد الثالث لابد ان يصغي
الى الطبيب فيما يحذره من تناول الاشياء المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء
ويكون شدة الخوف باعثا له على الاحتماء الرابع ان يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما
يلزمه بنفسه في حفظه واحتمائه عنه ليعرفه اولا تفصيل ما يضره من احواله وافعاله وماكوله و
مشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم
خاص وعلاج خاص فكذلك المصر يحتاج في طلب التوبة ان يصدق بامور اولا ان يصدق
ويؤمن باصل الشرع وهو ان للسعادة في الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا هو
المعصية وهو الايمان باصل الشرائع وهذا لابد من حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما
من جملة الايمان الثاني ان يعلم ويعتقد ويؤمن ويصدق بصدق الرسول بان كل ما يقوله
حق وصدق ولا كذب فيه ولا خلف الثالث ان يصغي الى الرسول فيما جاء به من
الآيات في الاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب اتباع الهوى وتصديق
جميع

جميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو
الركن الثاني في العلاج الرابع ان يصغي الى الرسول فيما يخص بعض المعاصي والشهوات اذ كل عبد
ليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما
حاجته في الحال ماسة الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم
بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها اطباء الدين
وهم العلماء ورثة الانبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان
لا يدري ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد
فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسأل عنه
بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم
بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابوابهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم
فان مرض القلوب لا يعرف مريضها كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه
ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة
فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الناس لا يولدون الا جهالا فلابد من تبليغ الدعوة اليهم في
الاصل والفرع فالدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرض القلب
اكثر من مرض الابدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج
بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه
الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ليكف شره عن سائر الناس وانما صار مرض القلوب اكثر
من مرض الابدان لثلث علل احدها ان المريض به لا يدري انه مريض والثاني انه لا يشاهد في هذا
العالم عاقبة مرضه من العذاب الاليم في دركات الجحيم وعذاب القبر وما بعده بخلاف مرض البدن فان عاقبته

يشاهدونه من الموت تنفر الطباع عنه فيجتهد في علاج سببه وازالته ولا يشاهد ما بعد الموت من الدواهي التي تحصل
لاصحاب القلوب المريضة فلا يشتغل في ازالة مرض القلب ولا ينفر من هذا المرض فقلّت النفرة عن الذنوب وان
علمها مرتكبها فيتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن ولا يتكل والثالث وهو الداء
العضال فقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن
علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغراء الخلق والاشارة
عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا على الاطباء فلم يقدروا على تحذير
الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء
وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون من الاغواء فليتهم
اذ لم ينصحوا لم يغشوا واذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في
مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب
الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن
مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب
جاهلا او خائنا اهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن
لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق
وضيق العيش على نفسه بالكلية وبالغ فيها وتجاوز عن الحد والافراط حتى اضر بنفسه واهله
جدا فتنكسر سورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال وكذلك المصر
على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس لاستعظامه الذنوب التي سبقت
فترك العبادة واقبل على ضروب المعاصي بسبب قنوطه واياسه عن رحمة الله نظرا الى كثرة
ذنوبه فيعالج ايضا باسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي

بذكر

بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال و
الاغبياء وهو علاج مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المبالغة في ذكر الآيات المنزلة في التخويف ايضا
لا تكاد تردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية
ولكنها لما كانت اخف على القلوب وارجى لاستنطاق الخلق بالثناء كيف ما كانوا مالوا الى الارجاء
حتى ازداد الفساق فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا وهؤلاء الحمقى الجهلة الجاهلون
عن حقائق الفاظ القرآن كيف لا يعلمون ان الرجاء هي ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب
عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد ان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر
اسبابه فهو الرجاء الصادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسمه الغرور والحمق
وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسمه التمني وقد علم العلماء الراسخون
ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات كتقليب الارض وتطهيرها
وحفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا كالارض السبخة التي لا ينمو فيها
البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان
وقل ما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي
ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيه بذرا
جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه في اوقاته
ثم نقى الارض عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم قعد منتظرا
من فضل الله تعالى ان يدفع الصواعق والآفات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته
سمي انتظاره رجاء فان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء
ولم يشتغل بتعهد الارض والبذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره حمقا وغرورا

لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار في موضع لا تغلب الامطار
ولا يمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع
اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف
القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان فسقاه بماء الطاعات ونقى القلب عن شوك الاخلاق
الرديئة وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة
كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى
الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات
وترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره
حمق وغرور وقد ذكر انه قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل وقال تعالى
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا
وقال وخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا فاذا العبد المجتهد في الطاعات والمجتنب عن المعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة
وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط فيه من تقصيره
فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه المعصية و
تسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو
التوفيق والتوبة من الله لان ذلك سبب قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب
ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
معناه اولئك يستحقون ان يرجوا وما اريد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا قد يرجوا ولكن
خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع

ورجاؤه

٨٣

فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في ارض سبخة او عزم على ان لا يتعهده بسقي ولا تنقية
قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة
وتوقع القرب من الله بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار
الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انها حالة
اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان
فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء
على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش نبت فيها ولا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت
الحصاد وهذا لان الرجاء يضاد اليأس واليأس يمنع عن التعهد فمن عرف ان الارض سبخة
والماء معوز وان البذر لا ينبت فيترك لا محالة تعهد الارض والتعب في تعهدها والرجاء محمود لانه
باعث على الاجتهاد على العمل واليأس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد
للرجاء بل رفيق له بل هو باعث على العمل بطريق الرهبة كما ان الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذا
حال الرجاء يورث طول المجاهدة للاعمال والمواظبة على الطاعات كيف ما تقلبت الاحوال ومن
اثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه
الاحوال لا بد وان يظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر
ذلك في حق الله وان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض
الغرور والحمق والتمني ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال
اصبحت على حب الخير واهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا
فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك بالاخرى هياك لها

ثم لا يبالي رواية او درايتها ملكت فعد ذكر رسول الله صلعم علامة من اراد به الخير فمن ارتجى
ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور متمنٍّ وغير الشيطان اسم التمني
فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين
هاجروا الاية ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال
قال تعالى جزاء بما كانوا يكسبون ونعم اجر العاملين هل جزاء الاحسان الا الاحسان جزاء
بما كانوا يعملون انما توفون اجوركم يوم القيمة افترى ان من استوجر على اصلاح
اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد
فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجرة ويزعم ان المستاجر كريم افيراه
العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والتمني
الغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو ويضيعون العمل فقال هيهات تلك امانيهم
يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه وقال مسلم بن دينار لقد
سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات
هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا الولد وهو
بعد لم ينكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم
يؤمن او آمن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور الا ترى كيف ان الله لم يقتصر
في قوله ان الذين امنوا حتى قال وعملوا الصالحات في كثير من المواضع في القران و
جعل الجنة جزاء لمن جمع بينهما حتى قال لهم جنات الاية فكما انه اذا نكح ووطئ وانزل وبقي
مترددا في الحبل ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن كمال
الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين

٨٤

بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل
الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويحفظ له دينه من صواعق
سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل
الى المعاصي فهو كيس وما عدا هولاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من
اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا انا موقنون اي علمنا انه كما لا يولد الولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت الزرع الا بحراثة وبث بذر
فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في
قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم
ياتكم نذير الم يسمعكم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة
فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا
بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين
كما سبق الاشارة اليه احدهما في حق العاصي المنهمك خطرت له التوبة فيوسوس اليه الشيطان فيقال
واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله وحينئذ يجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء
ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات لما اناب العبد وان التوبة لما
استجمع شرائطه فهو طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم
واسلموا له امرهم بالانابة قال ابن عباس نزلت الاية في اهل مكة وقعت محبة الاسلام
والتوبة عن الكفر في قلوبهم قالوا ايزعم محمد انه من قتل النفس التي حرم الله وعبد الاوثان وفعل كذا وكذا
لم يغفر له وكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله فانزل الله هذه

الاية

وعنه انها نزلت في وحشي فجاء وحشي واسلم بعد نزول هذه الآية وقال عبد الله بن عمر نزلت في عياش بن
ابي ربيعة وهشام بن العاص والوليد بن الوليد ونفر كانوا قد اسلموا ثم عذبهم الكفار فافتتنوا
فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فكتب عمر بن الخطاب الآية ثم بعث الى هشام قال
هشام فلما قدمت الي علي خرجت بها الى ذي طوى فقلت اللهم فهمنيها فعرفت انها انزلت
فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله وقال فلانا نزلت الآية في قوم اصابوا
ذنوبا عظاما في الجاهلية فلما جاء الاسلام خافوا ان لا يتاب عليهم فدعاهم الله بهذه الآية
الى التوبة والانابة ومن قرأ الآية الى قوله تعالى الله خالق كل شيء علم ان معنى الآية غير ما فهمه الجهال
والسفهاء المغرورون الحمقى نعوذ بالله من الجهل والعمى وقال تعالى واني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا الآية فاذا توقع العبد المغفرة على التوبة فهو راج وان توقع مع الاصرار فهو
احمق مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو مستغرق بالتجارة في السوق فخطر له ان يسعى
الى الجمعة فقال الشيطان له لا تدرك الجمعة فاقم ولتشتغل بما انت فيه فكذب الشيطان وقام يعدو وهو
يرجو ان يدرك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة لاجله الى وسط
الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفه فهو مغرور والثاني ان تقنع نفسه عن فضائل
الاعمال وتقتصر على الفرائض من الصلوة والصوم والزكوة والحج وترك المعاصي مراعيا ادابها
من الطهارة الكاملة في الظاهر والباطن من تطهير البدن والثياب والمكان وستر العورة
واستقبال القبلة وغير ذلك ومن تعظيم له العبادة ومن تعظيم ما فيه من العبادة والقرآن
والتدبر في معنى الفاتحة وسائر الاذكار التي فيها ومن الخشوع له الطاعة والاستحياء منه عن تقصير
اتيان العبادة كما يليق بجلاله وتقابل بانواع انعامه وحضور القلب في جميع صلوته فما هو الا بين
لدن الاحوال والاقوال مع الاخلاص في جميع ذلك والنية وغير ذلك وفي الصوم ان يضم الى الاحساك
عن

عن المفطرات الثلث الاخلاص والنية والاجتناب عن الكذب والغيبة وسائر آفات اللسان
وعن النظر الى ما لا ينبغي كما جاء في السنة وعن الظلم والضرب والبطش باليد ما لا يجوز وعن المشي فيما لا يجوز و
عن سائر جرايم الاعضاء وعن الاكل كثيرا وعن اكل ما يحرم ويشتبه والى غير ذلك وكذلك في باقي العبادات يأتي
ما يجب فيها ويجتنب عما يجب الاجتناب عنها ويترك ظاهر الاثم وباطنه فان ذلك فرض فكذلك بالاجتناب
عن الاخلاق الذميمة المذكورة فيما سبق فيجب على ذلك الرجل المكتفي المقتصر على ما ذكر من الفرائض ان يرجي
نفسه نعم الله وما وعد للصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل كما كان مقبلا
بجد الفرائض فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر
الى الفضائل فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة
وركونا الى البطالة فهو حمق وغرة كما اذا خطر للعبد ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل يوسوس اليه الشيطان ويقول
مالك تؤذي نفسك وتعذبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهي الحماقة والغرة وعند
هذا واجب على العبد ان يشتغل الى الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غفور غافر
الذنب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الآباد مع انه لم يضره كفرهم كما انه لا يضره معصيتك
بل سلط انواع الامراض والعذاب والمحن والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده المؤمنين الصالحين
في الدنيا وهو قادر على ازالتها وكم من طفل صغير سلط عليه العلل الموجعة ثم اماته فاقبره وترك امه باكية
محترقا متحسرا مجروح القلب وكم من مؤمن في القبر الضيق في انواع العذاب والحسرة على ما خلف من
دنياه واقاربه واولاده ومتفرقا شعره ولحمه وكم من حيوان تحت احمال مجروح الظهر مكسور
الاطراف الى غير ذلك مما يرى في الدنيا من انواع المحن فهذا سنته في عباده وبلاده فقد خوفني
عقابه فكيف لا اخافه واغتر به وكيف اجوز ان يعذب هؤلاء المذكورين ويعاقبهم ولا يعاقبني وباي
شيء اعتمد في ذلك هل جاءني مكتوب لذلك من الله واعتقني ذلك مما اتلاوم به وكيف اغتر كما يغتر السفهاء الجهال

حاشاه من كرمه ورحمته ولطفه ان يعذبني ولا اجتنب عن المعاصي واخالفه واخالف امره
ونهيه واكون من الذين فنبذوه وراء ظهورهم فالخوف والرجاء قايدان وسايقان يبعثان على
العمل فما لا يبعث فهو تمني وغرور وحماقة ورجاء اكثر الناس هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا
واعراضهم عن الله واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور وحماقة قال النبي صلعم سيغلب على هذه الامة
ولاوه والغرور فقد كان الصحابة والتابعون وتابعيهم يواظبون على الطاعات ويجتهدون ويجاهدون مع
انفسهم ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ويخافون على انفسهم وهو الليل والنهار في طاعة الله والحزن
والبكاء وايثار الفقر والجوع والعري وترك المشتهيات من المطعم والملبس والمسكن والمبالغة في التقوى
والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق آمنين
مسرورين ومطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله زاعمين
انا واثقون بكرم الله وفضله وراجين عفو الله ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وعفوه
ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا لا يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا
كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرت تحقيق هذا في كتاب الخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما يخلق الثياب على الابدان يكون
امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال سيتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم
يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وبمثله اخبر عن النصارى قال فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا
كان او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير
وتخويف لا يتفكر متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه فترى الناس يهذونه
هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويناظرون على رفعها ونصبها وخفضها لا يهمهم الالتفات الى معانيها

والعمل

والعمل بما فيها وهل في العالم غرور يزيد على هذا وقد روت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلعم كان اذا تغير
الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا
من عذاب الله وقرأ رسول الله صلعم آية في سورة الحاقة فصعق وكان اذا دخل في الصلوة
يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل قال الله تعالى وخر موسى صعقا وقال صلعم ما جاءني جبرئيل قط
الا وهو يرعد فرقا من الجبار وروي انه لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل يبكيان
فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نامن مكرك فاوحى الله اليهما هكذا
كونا لا تامنا مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة من
اماكنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن انس انه عم سأل جبرئيل ما لي لا ارى ميكائيل ضاحكا
فقال جبرئيل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وقال ان لله ملائكة لم يضحك احد منهم قط
منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم وقال ابن عمر خرجت مع النبي صلعم حتى
دخل بعض حيطان له نصاري فجعل يلتقط من التمر وياكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل
فقلت يا رسول الله لا اشتهيه فقال ولكني اشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم اذق طعاما
ولو سألت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبئون
رزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم فقال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال ان الله تعالى
لم يامر بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حيوة فانية فان
الحيوة بيد الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبؤ رزقا لغد وقال ابو الدرداء
كان يسمع ازيز قلب ابرهيم من ميل خوفا من ربه قال مجاهد بكى داود عليه السلام
اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى راسه فنودي يا داود

اجابه انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق
من حر جوفه ثم انزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال الهي اجعل خطيئتي في كفي فصارت
خطيئته مكتوبة في كفه فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره الا راها فابكته
وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام
واشتعال الحشا وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وروى انه لما اصابته الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء
اصوات الصديقين ولما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك فضاق ذرعه واشتد غمه فقال الهي اما
ترحم بكائي فاوحى الله اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وسيدي كيف
انسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الرياح و
اظلني الطير على راسي وانست الوحوش بمحرابي الهي وسيدي ما هذه الوحشة التي بيني وبينك
فاوحى الله اليه يا داود ذلك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من
خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته
بتاج وقاري وشكا الي الوحدة فزوجته حواء امتي واسكنته جنتي عصاني فطردته عن
جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا واطعناك وسألتنا فاعطيناك
وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وقال يزيد الرقاشي
خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات منهم ثلثون الفا
وما رجع الا في عشرة الاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف و
سقط واضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة ان يتفرق اعضاؤه ومفاصله
فيموت وكان يقول في مناجاته الهي رب داود زلة داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب

رب ان لم ترحم ضعف داود جعلته حديثا في الخلق سبحان الملك الاعظم الذي
يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب الهي خليت
بيني وبين عدوي ابليس فلم اقم لفتنته الهي يبكي الثكلى على ولدها وداود يبكي على خطيئته
الهي لم اتعظ بما وعظت به غيري الهي باي عينين انظر بهما اليك يوم القيمة وانما
ينظر المظلومون من طرف خفي الهي باي قدم اقوم امامك يوم تزل اقدام الخاطئين
سبحان خالق النور ويل للخاطئ يوم القيمة من سوء الحساب سبحان خالق النور
الهي انا الذي لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي
انا الذي صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور ويل اذا نصبت
الموازين القسط سبحان خالق النور ويلي اذا اخذ بناصيتي فيدفع الى خصمي
سبحان خالق النور ويلي اذا سحبت على وجهي مع الخاطئين والمذنبين والعاصين
سبحان خالق النور ويل حين يجمع الزبانية مع السلاسل والاغلال مع الظالمين
والشياطين الى النار سبحان خالق النور الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض
برحبها سبحان خالق النور الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك
يدلني اسألك يا اله ابرهيم واسمعيل واسحق ان تعطيني سؤلي فان اليك غبيي
اللهم اني اعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلوة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذر لا يقبل
وبكاؤه ومناجاته وحكاياته كثيرة لا يحتملها هذا المختصر وما كان ذنبه فعلا من افعال
الجوارح بل كان حديث النفس وما يروى به الوعاظ في حقه افتراء وكذب نبي الله
معصوم منه عنه وكان اكثر مناجاته في المسجد الاقصى وصحاري وجبال بيت
المقدس وقال ابن عمر دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر

الا عباد اهل المسجد قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد شدوا
انفسهم بالسلاسل الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون
فقالوا له يا يحيى هلم الينا نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال ابن عمر فاتى ابويه فسألهما ان يدرعاه
الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويقوم فيه ليلا حتى اتت عليه
خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطواد الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه
على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك
وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين مكاني منك فسأله ابواه ان يفطر على قرص
كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر ورده ابواه
الى بيت المقدس وكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والحجر والمدر ويبكي زكريا
لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى احرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين
فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا يواري اضراسك عن الناظرين
فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبد فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلي بكى فاذا
استنقعت دموعه في القطعتين اتت عليه امه فعصرتهما فاذا رأى دموعه تسيل
على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال
له زكريا يا بني انما سألت ربي ان يهبك لي لتقر عيناي فقال يحيى يا ابة ان جبريل اخبرني
ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا فابك يا بني وقال عيسى عليه السلام
خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحق
اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وكان الخليل
اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له

الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اذا
ذكرت خطيئتي نسيت خلتي هذه احوال الانبياء فتأمل فيها فانهم اعرف خلق
الله بالله وصفاته ولقد روي ان ابا بكر الصديق رضي رأى طيرا فقال ليتني مثلك يا طاير
ولم اخلق بشرا وكان يقول ابو ذر لوددت اني شجرة تعضد وكان يقول عثمان
وددت اني مت لم ابعث وكان تقول عائشة وددت اني كنت نسيا منسيا وكان
عمر يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وكان يعاد اياما واخذ
يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة ولم اك شيئا مذكورا يا ليتني
لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر خطان اسودان من
الدموع ولما قرأ عمر اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت فخر
مغشيا عليه ومر عمر يوما بدار انسان وهو يقرأ والطور فوقف يستمع فلما بلغ
قوله ان عذاب ربك لواقع نزل عن حماره واستند الى الحائط فمكث زمانا ورجع
الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه قال علي فقد سلم من صلوة
الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده ويقول لقد رأيت اصحاب محمد صلعم فلم ار اليوم
شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركبة المعزى
قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا
اصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم الدموع
حتى تبتل ثيابهم والله كان القوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكا
حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن الحصين لوددت اني كنت رمادا تسفني
الرياح في يوم عاصف وكان علي بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله

هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم وقال
موسى بن مسعود كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه
وجزعه وكان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع القرآن من شدة خوفه ولقد كان
يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياماً حتى أتى عليه رجل من خثعم
فقرأ عليه يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً فقال
أنا من المجرمين أعد على القرآن أيها القارئ فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة
وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى إذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث منها مريضاً
أربعة أشهر يعاد من الأطراف وقال مالك بن دينار بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا
بجويرية المتعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها
وبقيت تبعاتها يا رب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وتبكي فما زال ذلك دأبها حتى طلع الفجر
ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في الضحك وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى
هل مررت بالصراط قال لا وهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار قال لا قال فما هذا الضحك
قال فما رؤي الفتى بعدها ضاحكاً وقالت أم محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني إني أعرفك
صغيراً طيباً وكبيراً طيباً وكأنك أحدثت حدثاً موبقاً لما أراك تصنع في ليلك ونهارك
فقال يا أماه ما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع علي وأنا على بعض ذنوبي فمقتني فقال
وعزتي وجلالي لا غفرت لك وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني أنك لم تضحك
قط قال كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت
وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد ألف عام ويا ليتني كنت ذلك الرجل
وإنما قال ذلك لشدة خوفه وروي أنه ما ضحك أربعين سنة قال وكنت إذا رأيته قاعداً
كأنه

كأنه أسير قد قدم ليضرب عنقه وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها
فإذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة خوفه فقال ما يؤمنني أن يكون
الله قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فنحن مخاوف الأنبياء و
الأولياء والعلماء ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء
القلوب وكمال المعرفة وإلا فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا
وغلبت شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل علينا صح
ينبهنا ولا كثرة الذنوب يحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة
يزعجنا فنسأل الله أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا إن كان تحريك اللسان
بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرعنا
وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وإن أردنا رتبة بالعلم تفقهنا
وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب أقواتنا ولا نثق بضمان الله لنا
ولا نجلس في بيوتنا ونقول اللهم ارزقنا ثم إذا طمحت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم
قنعنا بأن نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا
ينادينا ويقول وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة
ما شاء ركبك ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا فما هذه إلا
محنة هائلة إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها فيجبرنا فنسأل الله أن
يتوب علينا بل نسأله أن يشوق إلى التوبة سرائر قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان
بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل إذا سمعنا الوعظ بكينا وإذا

جاء وقت العمل بما سمعنا عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله ان يمن بالتوفيق
والرشد علينا بمنه وفضله ولنقتصر من حكاية خوفهم على ما اوردناه فان القليل من هذا اذا صادف
القلب القابل فيكفيني والكثير منه وان افيض على القلب الغافل لا يغني ولقد صدق الراهب الذي
حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة
المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقى دمعه من كثرة البكاء قال عيسى فلما رايته هالني منظره
فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها عنك فقال بماذا اوصيك ان استطعت
ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف ان يغفل فيفترسه
السباع او يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله وان
امن المغترون وفي الحزن نهاره وان فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو
زودتني شيئا عسى ان ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء ايسره وقد صدق فان القلب
الصافي يحركه ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وقد ذكر من تقدير
انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت
بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا بانواع السباع واصناف الهوام مثل الغضب
والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك
وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا انك محجوب القلب عن مشاهدتها فاذا انكشف
الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها
فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن
قد انكشفت لك صورها فان اردت ان تقتلها او تقهرها وانت قادر عليها قبل الموت
فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك وجسمك
فهذا

فهذا خوف الانبياء
والاولياء والعلماء فتامل ايها الغافل مع كلال بصيرتك وعمى
عين قلبك في احوالهم كيف اشتد عليهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم
يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا على الارض و
تحقق ان عقل الانبياء والعلماء والاولياء لا يشبه عقلك فان كان لا يؤثر في قلبك فان
قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان
منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون
فاشتغل بالاستعداد ايها المسكين فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا
واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي
واملها جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك
ان تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك
خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل طرفة واياك ان
تهمل لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان
تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان لا يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك
لست اقول على لسانك فان مجرد حركة اللسان ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب
عند النوم على قلبك الا ما كان غالبا قبل النوم ولا ينبعث عند نومك الا على ما غلب على قلبك
في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في
يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه
ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت والبعث حالتان من
احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وآمن بذلك تصديقا باعتقاد
القلب

ان لم تكن اهلا لذلك فاعمل في ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك
واياك ان تتغذى بغير الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر
عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون
والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا
يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي
كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك
تناول مضطر كاره ولا تكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق
بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجها فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا تكون
قضاء الحاجة من همتك التي تشتغل بها قلبك فلا ينبغي ان تكون تناول الطعام
من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج عنه فاذا
لم تكن قصدك من الطعام الا التقوى على عبادة الله كقصدك من قضاء حاجتك
فعلامة ذلك ان يظهر من ثلثة امور من ماكولك في قدره ووقته وجنسه اما
الوقت فاقله ان يكتفي في اليوم والليلة بمرة فتواظب على الصوم واما قدره فان
لا يزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذائذ من الاطعمة بل تقنع بما تتفق
فان قدرت على هذه الثلثة وسقط عنك مؤنة الشهوات واللذائذ قدرت بعد
ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان الحلال عزيز ولا يفي بالشهوات
واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكلما دفع
البرد عن راسك في قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك تضيع زمانك
ويلزمك الشغل الدايم والعناء القايم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام
والشبهات

والشبهات وقس بهذا ما يدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان
لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومنزلة ومنتهى بعده بل كنت ممن
لا يملأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السماء سقفا والارض
مستقرا فان غلبك حر وبرد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك الامر
وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحايط
سوى كونه حايلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار
فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة بعد رقيك منها
وهكذا جميع ضرورات امرك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك
والاستعداد لها عمرك وان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك
ولم يبال الله في اي واد هلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة
منك واعلم ان متسع التدبير والتردد والاحتياط في العمر القصير فاذا دفعته
يوما بيوم في تسويفك او غفلتك اختطفت فجاءة في غير وقت ارادتك ولم يفارقك
حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدت اليه فانت في خطر
عظيم في يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم فاياك واياك ان تكون مغرورا
بغرور العلماء السوء ولا بفعلهم ولا بنصيحة وعاظ الزمان فانهم شياطين الانس بل عليك
الاسكات ولا اخراج ان قدرت والا فعليك الخروج عن ابن عمر انه خرج من المسجد فقال
ما اخرجني الا الواعظ ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل بوجوهنا
القاص يعني الواعظ فقال ولوا البدع ظهوركم ودخل الاعمش جامع البصرة فرأى
قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص

يا شيخ الا تستحي فقال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك واخرج
علي كرم الله وجهه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان
يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر
الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة
الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الآخرة واهوالها فهذا هو المراد من التذكير
الذي ورد الحث عليه في حديث ابي ذر وغيره وهو قوله صلى الله عليه وسلم حضور مجلس ذكر
الحديث وفي رواية حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة وحضور علم افضل من عيادة
الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة
القرآن قال فهل ينفع قراءة القرآن الا بالعلم وقد اتخذ المزخرفون من الاحاديث حجة
على تزكية نفوسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق التذكير المحمود
(اي تحسين الكلام)
فاشتغلوا بالقصص التي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقصان وتخرج
عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليه فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر
سماعه وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب و
النافع بالضار فمن هذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل ما احوج الناس الى قاص صادق
اي واعظ فان كان القصص من قصة الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية
فلا ارى به بأسا وليحذر الكذب وحكاية احوال تومي الى هفوات او مساهلات يقصر
فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات
تغطى عليها فان العامي يعتصم بذلك ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن
بعض المشايخ وبعضنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت الله فقد عصاه من هو
اكبر مني
فلا عجب

اكبر مني ويفيد ذلك جراءة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين
فلا باس به وعند ذلك يرجع القصص المحمود الى ما اشتمل عليه القرآن وصح في الكتب الصحيحة من
الاخبار وللمذكر شروط كثيرة مذكورة في موضعها من بين الكتب ستطلع عليه ان شاء الله تع
والمقصود ان تعلم ان المراد من مجلس الذكر ما هو وقد تبين لك مما ذكرنا ان المراد منه مجلس
العلم الرابع من الاشخاص الستة التي تختلف الاوراد باختلافهم المحترف الذي يحتاج الى
الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت
الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله تعالى في صناعته بل يواظب
على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن ويراعي في العقد الذي به يكتسب اربعة امور الصحة
والعدل والاحسان والشفقة وقد اوردت ذلك كله في كتاب الكسب بحدودها وحقيقتها ثم مهما فرغ
من كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد المذكورة وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل
عن حاجته فله فضل عظيم وثواب جزيل لا يقصر عن ثواب الاوراد المذكورة لان العبادة
المتعدية فائدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه
الى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وينجذب اليه بركة دعوات المسلمين فيتضاعف به الاجر و
لكن ينبغي ان يطلب لصدقته من يزكوا به الصدقة وهم ستة الاول المتقي المعرض عن الدنيا
المتجرد لتجارة الآخرة قال عليه السلام لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي وهذا لان المتقي
يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال عليه السلام اضيفوا بطعامكم
من تحبونه في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء المنقطعين الى الله فقيل له لو عممت
كان افضل فقال لا هؤلاء قوم همتهم الله تعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم
فلان اقيم همة واحد منهم الى الله احب الي من اعطاء الف ممن همته الدنيا فذكر منه

فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله ثم حكى ان هذا الرجل اختل
حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت
فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه
الثانية ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات
مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال
اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ
للعلم ولم يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم افضل والثالث ان يكون صادقا في تقواه و
علمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء حمد الله وشكره ورأى النعمة منه ولم
ينظر الى واسطة ومن شكر غير الله فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مسخر
مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الشكر الرابع
من ان يكون مستترا مخفيا حاجته او يكون من اهل المروة ممن ذهبت نعمته وبقيت
عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل وقال الله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم
بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا الخامس ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من
الاسباب السادس الاقرباء وذو الارحام فيكون صدقة وصلة قال علي رضه لان اصل
اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرة دراهم
احب الي من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة
والاصدقاء واخوان الخير ايضا يتقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب
فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب
اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك
واصاب

واصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد فان احد اجريه في الحال تطهير نفسه عن
صفة البخل وتاكيد حب الله في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في
قلبه فتشوقه الى لقاء الله والاجر الآخر ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب
الابرار لها آثار في الحال والمآل فان اصاب حصل له اجران وان اخطأ حصل له الاول
دون الكل وزد ذلك اجرا آخر وهو اجر خدمة الفقراء قال عم الخادم في امان الله ما دام الخادم
في خدمة المؤمن وللخادم في الخدمة اجر الصائم بالنهار والقائم بالليل الحديث بطوله
وقال عم طوبى للخادم يوم القيمة وليس للخادم حساب ولا عذاب وللخادم شفاعة مثل
ربيعة ومضر وفي رواية الخادم السوء افضل عند الله من عابد مجتهد ومن معلم
محتسب وللخادم اجر من يخدمهم من غير ان ينقص من اجورهم شيء وقد قيل في فضل الكسب
الرجال ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه
وهو من الفائزين والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو
من المقتصدين قال النبي عم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال عم
التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع الصديقين والشهداء وقال عم من طلب الدنيا حلالا
تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر
وكان عم جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة قد بكر يسعى
فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال عم لا تقولوا هذا فانه ان كان
يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على
ابوين ضعيفين او ذرية ضعفاء ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا
وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وفي الخبر ان الله يحب المؤمن المحترف وقال عم احل ما اكل

الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وقال احل ما اكل الرجل كسب يد الصانع اذا نصح وقال عم
عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق وروي ان عيسى عم راى رجلا فقال ما تصنع
فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك وقال صلعم لان ياخذ احدكم
حبلا فيحتطب على ظهره خير له من ان ياتي رجلا اعطاه الله فيساله اعطاه او منعه وقال
عم من فتح على نفسه بابا من السوال فتح الله له سبعين بابا من الفقر وقال ابن مسعود
اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر اخرته وسئل ابراهيم عن التاجر
الصدوق اهو احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد
ياتيه الشيطان من طريق الكيل والميزان ومن قبل الاخذ والاعطاء فيجاهده وخالفه
الحسن البصري في هذا وقال عمر رض ما من موضع ياتيني الموت فيه احب الي من موطن
اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري وبالجملة من كان معه مال يكتفي به فانه فتركه لمخالطة
الناس ليس افضل اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه
الصدقة بكسبه فاذا اكتسب من جهة حلال وتصدق به فهو افضل من ترك الكسب
المخالطة للاشتغال بالنوافل وليس افضل من الاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة
علم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد به لذكر الله اعني من حصل له
انس مناجاة الله عن بصيرة لا عن اوهام او خيالات فاسدة وهذا كله فيمن لم ينفتح
له طريق العمل بالقلب اما من انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل
به غيره البتة ولا يساويه ولا يقربه وهو المقصود كله وهو المفضي الى الفلاح والسعادات
الابدية كما قال جل ذكره واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله
الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا قال عبد الله بن الجهني

الجهني ما النجاة يا رسول الله قال ليسعك بيتك وامسك عليك لسانك وابك على خطيئتك
قيل يا رسول الله اي الناس افضل قال مومن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال
مومن معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره قال فضيل كفى بالله محبا
وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وعن داود الطائي
صم عن الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد قال وهيب ابن الورد
بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في العزلة من الناس وقال
سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت والاكتفاء بالقوت لمن ان يموت
وعن بعض الاكابر قال كنا في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع
له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا وتكلمنا فانشأ
يقول قليل الهم لا ولد يموت ولا امر يحاذر ان يفوت قضى وطر الصبى وافاد
علما فغايته التفرد والسكوت وعن ابن عباس رض افضل المجالس في قعر بيتك
لا ترى ولا ترى والحكايات والاخبار والاثار في هذا كثيرة لا يحتمل هذا المختصر والمقصود
الاشارة الى ان الافضل من الكسب وتركه ولا يمكن الكسب بالمخالطة الخامس الوالي مثل
السلطان والخليفة وملك الامراء والامير والقاضي والمتولي للنظر في امور المسلمين
فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد
المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد
المذكورة بالليل كما يفعله عمر رض اذ قال ما لي وللنوم ولو نمت بالنهار ضيعت المسلمين
ولو نمت بالليل ضيعت نفسي فقد فهمت مما ذكرناه انه يقدم على العبادة البدنية
امران احدهما العلم والاخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف

عمل في نفسه وعياله تفضل سائر العبادات بتعدي فائدته وانتشار جدواه فكانا
مقدمين عليه ولهم وظائف كثيرة في الاشتغال بحقوق المسلمين مذكورة في غير هذا الموضع
السادس الموحد وهو المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب
الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا ويرى الله فيه فمن
ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد لكان ورده بعد المكتوبات
واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلوبهم امر ولا يقرع في سمعهم
قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن
الا الله فهؤلاء جميع احوالهم يصلح ان يكون سببا لازديادهم فلا يتميز عندهم عبادة
من عبادة وهم الذين فروا الى الله كما قال لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق
فيهم قوله واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم
من رحمته الاية واليه الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات
الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا
ولا ينبغي ان يغتر العبد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف
عباداته فذلك علامته الا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا يزعجه
هواجم الاهوال ولا يستفزه عظائم الاشغال وانى يرزق هذه المرتبة لكل احد فيتعين
على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله تع الاصل في الاوراد
في حق كل صنف من الاصناف الستة المذكورة المداومة فان المراد منه تغيير صفات
الباطن واحاد الاعمال يقل اثارها بل لا يحس باثارها وانما يترتب على المجموع
واذا لم تكن تعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب

انمحى اثر الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار
وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ فيه ليلة لم يؤثر فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي
المتوالية لاثر فيه ولهذا السر قال عم احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وسئلت
عائشة عن عمل رسول الله عم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته
ولذلك قال عم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله ولهذا كان هو السبب في
صلوته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك
ان يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به روت ذلك عائشة
وام سلمة رض

الباب الثاني في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب

احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل فضيلة احياء
ما بين العشائين قال عم فيما روت عائشة رض ان افضل الصلوات عند الله صلوة المغرب
لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب
وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب او فضة
ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او قال اربعين سنة وروت ام
سلمة عن ابي هريرة عنه صلعم انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له
عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلعم
من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قراءة كان
حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما
غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال صلعم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب
والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا يا رسول الله صلعم فقال

الله اكبر وافضل او قال اطيب عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم من
صلى المغرب في جماعة ينبغي ان يصلي بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من
امر الدنيا ويقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر ايات من اول سورة البقرة
وايتين من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الايتين وقل هو
الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب
وقرأ اية الكرسي وايتين بعدها الى قوله خالدون وثلث ايات من اخر البقرة من
قوله لله ما في السموات الى اخر السورة وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف من ثواب
في الحديث ما يخرج عن حصر وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر علمني
شيئا اعمله في الليل فقال اذا صليت المغرب فقم الى صلوة العشاء مصليا من غير
ان تكلم احدا واقبل على صلوتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل
ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلوتك انصرف الى منزلك
ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل
ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع
راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال و
الاكرام يا اله الاولين والاخرين يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب
يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل
القبلة على يمينك وصل على النبي وادم عليه حتى يذهب بك النوم فقلت احب
ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلعم حيث علم هذا الدعاء
واوحي

واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان
هذا الدعاء ومنه الصلوة من داوم عليه بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلعم
في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه ادخل الجنة ورأى
فيها الانبياء ورأى رسول الله صلعم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احياء ما بين
العشائين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلعم هل كان رسول الله صلعم يأمر بصلوة
غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلعم من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك
صلوة الاوابين وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورأيته يصلي فسألته
فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليه ويقول هي ناشئة الليل ويقول
فيه نزل قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن الحواري قلت لابي سليمان الداراني
اني اصوم النهار واتعشى بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما
بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر ذلك فافطر وصل ما بينهما فضيلة قيام الليل
اما من الايات فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الاية
وقوله ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقوله تتجافى جنوبهم الاية وقوله امن هو قانت
اناء الليل الاية وقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله واستعينوا بالصبر والصلوة
قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس ومن الاخبار قال صلعم يعقد
الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل
طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان
صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وروي
انه ذكر عنده عم رجل نام كل الليل حتى يصبح وقال ذاك بال الشيطان في اذنه وقال

صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما الرجل في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها و
لولا اني اشق على امتي لفرضتهما عليهم وقال صلعم يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله
عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد رضاء ربك يا ابا هريرة صل
في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال عليكم
بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطردة
للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال عم يا ابا ذر لو اردت سفرا اعددت له عدة
فكيف سفر طريق القيامة الا انبئك يا ابا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابي وامي انت قال
صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة
لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها
وقال علي بن الحارث شبع يحيى بن زكريا عم من خبز الشعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى
الله تعالى اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا لك من داري ام وجدت جوارا خيرا لك من جواري
فوعزتي يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا
ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد
بعد المسوح وقال عم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امرأته فصلت
فان ابت نضح وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها
فصلى فان ابى نضحت في وجهه الماء وقال عم من استيقظ من الليل وايقظ امرأته
فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال عم افضل الصلوات
بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر رضه قال صلعم من نام عن حزبه بالليل فقراه بين
صلوة الفجر والظهر كتب له كانما قراه من الليل ومن الآثار روي ان سفيان الثوري
شبع

شبع في ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى اصبح وروى
عبد الله بن قاسم القرشي قال سمعت عن بعض الصديقين يقول رايت احمد بن حنبل
في المنام وعليه حلتان خضراوان وفي رجليه نعلان من الذهب الاحمر شراكهما من الزمرد الاخضر
وعلى راسه تاج من النور مرصع بالجواهر فاذا يتبختر في مشيته فقلت له حبيبي يا ابا
عبد الله ما هذه المشية التي لا اعرفها لك في دار الدنيا قال هذه مشية الخدام في دار السلام
فقلت حبيبي يا ابا عبد الله ما هذا التاج الذي اراه على راسك قال ان الله عز وجل غفر لي
وادخلني الجنة وكساني وتوجني بيده واباحني النظر اليه وقال يا احمد فعلت
بك هذا لقولك القرآن كلام الله غير مخلوق وروي انه راى هذه الرؤيا ايضا محمد بن الحرية
الاسكندري وقال قال لي احمد بن حنبل قال لي ربي يا احمد ادعني بتلك الدعوات
التي بلغتك عن سفيان الثوري وكنت تدعو بهن في دار الدنيا فقلت يا رب
كل شيء بقدرتك على كل شيء لا تسالني عن شيء اغفر لي كل شيء فقال لي يا احمد هذه الجنة
فقم ادخلها فدخلت فاذا انا بسفيان الثوري وله جناحان اخضران
يطير بهما من نخلة الى نخلة وهو يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض
نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين قال فقلت ما فعل عبد الوهاب الوراق
قال تركته في بحر من نور في زلالة من نور يزور به الملك الغفور فقلت له ما فعل
بشر فقال لي بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من
الطعام والجليل جل جلاله مقبل عليه وهو يقول كل يا من لم ياكل واشرب يا من لم
يشرب وانعم يا من لم ينعم وقال قبيصة رايت سفيان الثوري فقلت له ما فعل
الله بك فقال نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد وقد كنت
وجها بوجه

قوما اذا اقبل الدجى بجزع مشتاق وقلب عميد فدونك فاختر اي قصر اردته
وزرني فاني منك غير بعيد وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة
في المقلى ثم يثب ويصلي الى الصباح ثم يقول طير نوم العابدين ذكر جهنم وكان عبد
العزيز بن ابي رواد اذا جن الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين والله لفي
الجنة الين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام
الليل فقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت
خطيئتك وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت
الجارية فقالت يا اهل الدار الصلوة الصلوة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما
تصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون
بالليل ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رح ليالي كثيرة فلم يكن ينام من
الليل الا يسيرا وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع
جنبه وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال
اني اوصف بما لا افعل وكان بعد ذلك يحيي الليل كله وروي انه ما كان له فراش
بالليل وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا في المنام بجارية
كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي اتحسن القراءة فقلت نعم فدفعت الي الرقعة
فاذا فيها أألهتك اللذائذ والاماني عن البيض الاوانس في الجنان تعيش مخلدا لا
موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان تنبه من منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقرآن
وروي عن ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء
اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت من الحوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني

اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت ما مهرك فقالت طول التهجد ويقال ان وهب
بن منبه اليماني ما وضع جنبه على الارض ثلثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي
شيطانا احب الي من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وكان له مسورة من ادم
اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وقال بعضهم رأيت
رب العزة في المنام فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمان التيمي
صلى الغداة بوضوء العشاء اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر
القلب بطل الوضوء وروي عن الله انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي
لا ينتظر بقيامه صياح الديك وقيل للحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها
فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره قال ذو النون المصري في وصف
في كلام طويل وقد اجاهم الوعيد وغير الوانهم السهر الشديد وانشد رجال
اطاعوا الله في السر والجهر فما باشروا اللذات حينا من الدهر اناس عليهم رحمة الله انزلت
فظلوا اسكونا في الكهف وفي الثغر يراعون نجم الليل ما يقرؤنه فباتوا بادمان
التهجد والصبر مداخل همّ القوم للخلق وحشة فصاح بهم انس الجليل الى الذكر
فاجسامهم في الارض تمشي نائمة وارواحهم تسري الى معدن الفخر وعن حارث
المحاسبي اجتمع جماعة من العلماء فاتوا عابدا في بيته فقالوا له اوصنا بوصية فقال
اقطعوا الدهر اخوتي بمناجاة ربكم واجعلوا الهم واحدا مواسي لعيشكم قيل
له فما ميراث ذلك اذا فعلنا فقال ترثوا العز والمنى وتفوزوا بحظكم قيل له فمتى نكون
ملوكا في الدنيا وملوكا في الآخرة فقال حين يسكنكم العزيز على قدر شكركم فتكونوا
متقربا له على قدر حبكم قالوا فما الذي يقطع بنا عنه عز وجل فقال لانكم تتمادون في المنى

وتناسون فعلكم وانتم مع ذلك تتمنوا امانيا ليس يصلح بمثلكم وفي ذلك انكم قد شغلتم
عن الله الاصلاح عيشكم قالوا فبما نستعين على الطاعة فقال بذكر حبيب العارفين
فانكم لو شغلتم بحبه مثل ما ذاق غيركم لنفى عنكم الرقاد على لين فرشكم اخوان الود دعوا
في غد عند بعثكم فوق نوق من النجائب معكم نبيكم وتزورون ما جلا واجلالا يميلكم
قالوا فما حال الزوار عنده قال انهم اذا قصدوه قاربوا الجليل فتجلى لقربهم فاذا عاينوا
المليك نقضت همومهم سمعوا من كلامه وسمع من كلامهم قالوا فما علامة من سقاه الله
بكأس محبته فقال علامته ان يكون عليك العول بذكر المعاد يطلب الله الغفور في جميع الامور كثير الصيام
شديد السقام كثير السهاد قليل الرقاد عفيفا كفيفا قلبه في العرش جوال والله برا له في
كل الاحوال بيان الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل ظاهرا او باطنا اعلم ان قيام الليل عسير
على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهر فاربعة امور
الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض المشايخ
يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتخسروا عند
الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام الثاني ان لا يتعب نفسه
بالنهار في الاعمال التي تعيى بها الجوارح وتضعف به الاعصاب فان ذلك مجلبة للنوم الثالث
ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سبب للاستعانة على القيام بالليل الرابع ان يجتنب الاوزار
بالنهار فان ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد
اني ابيت معافا واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان
الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هولاء ليل سوء وقال الثوري
حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رايت رجلا يبكي

فقلت في نفسي هذا مرائي وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت اتاك نعي
بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يولمك قال اشد قلت فما ذاك قال بابي مغلق
وستري مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته وهذا لان الخير
يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال سليمان
الداراني لا يفوت احد صلاة الجماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة
البعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر فان العبد لياكل الاكلة
فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حاله الاول فالذنوب كلها تورث قساوة القلب
وتمنع من قيام الليل وهو احد السدود المذكورة في قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا الاية ولعل الله يوفقنا على تصنيف مختصر نبين فيه الذنوب كلها وكيفية
تاثيرها ومقدار تاثيرها وكيفية منعها عن الطاعات وبيان الذنوب التي تحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم وكيفية تاثر القلب في اسوداده وكيفية تجنبها واسرارها ان شاء الله تعالى
واخصها بالتاثير تناول الحرام ويوثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير
ما لا يوثر غيره ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك
قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد
لياكل اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين بدينور بقيت
سجانا نيفا وثلثين سنة اسال عن كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا
يقولون لا فهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر واما الميسرات
الباطنة فاربعة الاول سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق

الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر في صلوته الا في مهماته ولا يجول الا
في وساوسه وفي مثل ذلك نغار وانت اذا استيقظت ايضا فنايم الى خوف غالب يلزم
القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حزنه
كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان
يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا
ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل لغلام اخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار
اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام ولذي النون المصري عجبا
لقلبك كيف لا يتصدع ولركن جسمك كيف لا يتضعضع فاكحل بعلول السهاد لدى
الدجى ان كنت تفهم ما اقول وتسمع منع القران بوعده ووعيده مقل العيون بليلها
ان تهجع فهموا عن الملك الكريم كلامه فهما تذل له الرقاب وتخضع وله من ذاق طعم
الوصال حمى جميع العباد من ذاق طعم الوصال فلذيذ الرقاد من ذاق طعم الوصال
انس برب العباد وانشد يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات
ان في القبر ان نزلت اليه لرقادا يطول بعد الممات ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت
او حسنات اامنت البيات من ملك الموت كم نال امنا ببيات وسنكتب كتابا
مختصر التكميل القسم الكامل من الميسرات الباطنة ان شاء الله تعالى الثالث ان يعرف فضل
قيام الليل بسماع الايات والاخبار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه
الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من
غزوته وامراته كانت تنتظر فراشه تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح
فقالت زوجته كنا ننتظر كرمك فلما قدمت صليت الى الصبح فقال والله اني كنت اتفكر
في

في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلي شوقا اليها
الرابع وهو اشرف البواعث حب الله وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو
يناجي به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب
معه فاذا احب الله احب لا محالة الخلوة والتلذذ بالمناجات فيحمله لذة المناجات بالحبيب على
طول القيام ويشهد على ذلك العقل والنقل سنذكره ان شاء الله تعالى في المختصر الذي تقدم الوعد
وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته اذا جاء
واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني
شيء سوى طلوع الفجر وقال فضيل بن عياض اذا غربت فرحت بالظلام بخلوتي بربي
واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ من اهل
اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل
من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم فقال بعض العلماء ليس في الدنيا
وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجات
وقال بعضهم لذة المناجات ليس من الدنيا انما هو من الجنة اظهرها لاوليائه لا يجدها سواهم
وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلوة
في جماعة وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المستيقظين فيملؤها انوارا
فترد الفوايد على قلوبهم فيستنير ثم ينتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين وقال بعض
العلماء من القدماء ان الله اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم
ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان
حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علاماتهم قال يراعون الظلال

بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم
الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا وجوههم وناجوني
بكلامهم وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي
وبسمعي ما يشتكون من حبي واول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر
عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارضين وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم
والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه
وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار قال وكانوا يرون
ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب وهذا له سر وتحقيق
سيذكر ان شاء الله في المختصر الموعود وشكى بعض المريدين الى استاذه طول سهر الليل وطلب
حيلة يجلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة
وتخطى القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا
بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع
الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلعم انه قال ان في الليل ساعة لا يوافقها
عبد مسلم يسال الله فيها خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسال الله خيرا من الدنيا والاخرة
الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعات وهي مبهمة في جملة الليل
كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة بيان
طرق القسمة لاجزاء الليل اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار سبع مراتب المرتبة الاولى
احياء كل الليل وهذا شان الاقوياء الذين تجردوا للعبادة لله وتلذذوا بمناجاته وصار
ذكر غذاء لهم وحيوة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال

اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء
العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان
فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل
بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن المنبه اليمانيان
والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان
وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العبادانيان وحبيب بن ابي ثابت وابو جابر الفارسيان
ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ثابت ويحيى البصريون وكهمس
بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع وقرأه مرة اخرى وايضا
من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر وجماعة يكثر عددهم المرتبة الثانية ان
يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام
الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع القيام في جوف الليل ووسطه فهو الافضل
المرتبة الثالثة ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس
الاخير وبالجملة نوم اخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك
ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه
وقالت عائشة رض كان رسول الله صلعم اذا اوتر من اخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله
دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيؤذنه للصلوة وقالت ايضا ما
الفيته السحر الا عندي الا نائما قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم
ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك
لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل

من النصف الاخير ونوم سدس كاخير قيام داود عم الرتبة الرابعة ان تقوم سدس
الليل او خمسه وافضله ان تكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه الرتبة الخامسة
ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل
به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم في اول الليل الى ان يغلبه
النوم واذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له بالليل نومتان وقومتان
وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلعم
وهو طريقة بن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف
يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلعم
من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه
او سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تع في الموضعين من سورة المزمل قوله
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه
ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف ثلثين فيقرب من الثلث و
الربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عايشة رضه كان صلى الله عليه وسلم
يقوم اذا سمع الصارخ (اي الديك) وهذا يكون السدس فما دونه وروى عن واحد انه قال راعيت
صلوة رسول الله صلعم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال
ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا
فاستاك وتوضا وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ
فقال ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول الرتبة السادسة وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع
ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبلا للقبلة ساعة متنفلا بالذكر و

والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر
حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما رآه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام
في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشائين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم
قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم طرفي الليل فهذه هي الرتبة السابعة ومهما
كان النظر الى المقدار يرتب من المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما الرتبة الخامسة
والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري امر مراتب التقدم والتاخر على الترتيب المذكور اذ
السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة بيان الليالي و
الايام الفاضلة اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتاكد فيها استحباب الاحياء
في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات
ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضايل الاوقات لم ينجح
فستة من هذه الليالي في شهر رمضان خمسة منها هي اوتار العشر الاخير اذ فيها
يطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم
التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر قال ابن الزبير هي ليلة القدر واما التسع الاخر
فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة
سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيه صلوة ماثورة فقد قال عم للعامل في
هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب
وسورة من القران يتشهد في كل ركعتين ويسلم في اخرهن ثم يقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي عم
مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه واخرته ويصبح صايما فان الله يستجيب

دعاءه كله الا ان يدعو في معصية واما ليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة في
كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا ينكرون كما اوردناه في صلوة التطوع وليلة
عرفة وليلتا العيد قال صلعم من احيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم يموت القلوب
واما الايام الفاضلة فهي تسع عشرة يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء
ويوم سبع وعشرين من رجب له شرف عظيم قال رسول الله صلعم من صام يوم سبع
وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه
جبرئيل على محمد عم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم
النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيد والايام المعلومات وهي العشر
الاول من ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس
عن رسول الله صلعم اذا سلم يوم الجمعة سلم الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت
السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهاة في الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مهاة كلاخرة
واراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الايام في الاسبوع
الخميس والاثنين ترفع فيها الاعمال الى الله وقد ذكرنا فضائل
الاشهر والايام للصيام في كتاب الصلوة فلا
حاجة الى الاعادة والحمد لله

الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى ...
من الامام ابي حنيفة ... لاصحابه رضوان الله عليهم ...